عيسى بن مريم (عليهما السلام)

واختلاف علماء اليهود والنصارى في ميلاده وصلبه ثم التحريف في إنجيله من المنظور القرآني

صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري

زمخشري بن حسب الله طيب

تونانج حسن لوبيس

عيسى بن مريم (عليهما السلام) واختلاف علماء اليهود والنصارى في ميلاده وصلبه ثم التحريف في إنجيله (من المنظور القرآني)

ينطلق هذا الكتاب من عدة اعتبارات تبرز أهمية الموضوع، حيث إن الشرق الأوسط مهد للديانات السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام، ومهبط الوحي للكتب السماوية الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن. وهذه المنطقة منطقة إستراتيجية هامة للسياسات الدولية بسبب الصراع السياسي والعسكري بين العرب وبني إسرائيل منذ مدة مديد، وخاصة منذ 1948م حيث كانت دولة فلسطين العربية تحت الانتداب البريطاني.

فالحرب الدائرة بين إسرائيل والحماس من الفلسطينيين من جهة، وإسرائيل والدول العربية والإسلامية في الشرق الأوسط: مصر وسوريا ولبنان واليمن وإيران من جهة أخرى في الوقت الراهن، دفعتنا إلى أن ندرس موضوع المسيح والمسيحية التي كانت ولاتزال همزة الوصل بين اليهودية والإسلام، لنعلم جذور الخلاف الديني والسياسي بين الفلسطينيين العرب المسلمين وغيرهم وأتباع الديانات التوحيدية الثلاثة أو آل إبراهيم (عليه السلام) بالشمول، ويمكن أن يكون هذا الصراع الدامي الدائر بينهم باسم تحرير "مسجد الأقصى" من براثن إسرائيل، وتحرير الأراضي العربية المحتلة من القبضة الحديدية لليهود المستوطنين بطريقة غير مشروعة، إيذاناً لاندلاع الحرب العالمية الثالثة. فلا بد لنا أن ندرس هذه القضية السياسية والدينية من جذورها للوصول إلى حل مقنع لجميع الأطراف المعنية، وذلك لتقريب شعوب المنطقة إلى بعضها البعض من أساس الدين.

هذا الكتاب يتكون من ستة فصول، حيث تناول في الفصل الأول نظريات فلاسفة اليونان القديم في تصور الإله وألوهيته. ثم تناول في الفصل الثاني عن بني إسرائيل. ثم تناول في الفصل الثالث ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام). ثم تناول في الفصل الرابع عقيدة التثليث عند النصارى. وفي الفصل الخامس، تناول الكتب المقدسة عند النصارى. وفي الفصل الأخير، وهو الفصل السادس، تناول التحريف في الديانة النصرانية.

ISBN 978-634-96379-7-8 (PDF)

9 786349 637978

عيسى بن مريم (عليهما السلام)

واختلاف علماء اليهود والنصارى في ميلاده وصلبه ثم التحريف في إنجيله من المنظور القرآني

عيسى بن مريم (عليهما السلام)

واختلاف علماء اليهود والنصارى في ميلاده وصلبه

ثم التحريف في إنجيله من المنظور القرآني

صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري

زمخشري بن حسب الله طيب

تونانج حسن لوبيس

جامعة دارماونجسا للنشر

عيسى بن مريم (عليهما السلام) واختلاف علماء اليهود والنصارى في ميلاده وصلبه ثم التحريف في إنجيله من المنظور القرآني

المؤلفون: صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري، زمخشري بن حسب الله طيب، تونانج حسن لوبيس

المحرر: زمخشري بن حسب الله طيب

الترقيم الدولي للكتاب: 978-634-96379-7-8 (PDF)

حقوق الطبع والنشر @ 2026 لجامعة دارماونسا للنشر

البريد الإلكتروني: lp3i@dharmawangsa.ac.id

Perpustakaan Nasional RI : Katalog Dalam Terbitan (KDT)

JUDUL DAN PENANGGUNG JAWAB	'Isâ ibn Maryam 'alaihima as-salam wa ikhtilâfu 'ulama al-Yahûd wa an-Nasharâ fî Mîlâdihi wa shalbihi tsumma al-tahrîf fî Injîlihi min al-Mandzûr al-Qur'anî / penulis, Salahuddin Mohd. Shamsuddin, Zamakhsyari bin Hasballah Thaib, Tonang Hasan Lubis
PUBLIKASI	Medan : Universitas Dharmawangsa Press (UNDHAR Press), 2026
DESKRIPSI FISIK	159 halaman ; 27 cm
IDENTIFIKASI	ISBN 978-634-96379-7-8 (PDF)
SUBJEK	Islam tentang Kristen
KLASIFIKASI	297.283 [23]
PERPUSNAS ID	https://isbn.perpusnas.go.id/bo-penerbit/penerbit/isbn/data/view-kdt/1388114

© كل الحقوق محفوظة

يمنع نسخ الكتاب وإعادة طبعه دون ترخيص مكتوب من المؤلف

مقدمة المؤلفين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ذكر القرآن الكريم اسم والدة عيسى (عليه السلام) مريم بنت عمران، وكانت امرأة صالحة مخلصة في العبادة حتى لم يكن من ينافسها في التقوى والعبادة. فبشرتها الملائكة بميلاد ابنها من غير أب بكلمة (كن) خرقا للعادة واصطفاء من الله. وهذا الابن اسمه المسيح عيسى بن مريم، بشرتها الملائكة أن ابنه هذا سيكون وجيهاً في الدنيا والآخرة ورسولاً إلى بني إسرائيل، ويعلم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وسيكون له شأن من حيث الصفات والمعجزات ليس لغيره من الأنبياء والمرسلين.

ولا شك أن القدرة المطلقة في التخليق لله (سبحانه وتعالى)، يخلق ما يشاء وكيفما يشاء، فيخلق المخلوق من جنس المخلوق عادة، وأحيانًا من غير جنسه كما خَلَقَ ناقة صالح (عليه السلام) من الصخرة، وأحيانًا من العناصر الأربعة كما خَلَقَ آدم من الماء والهواء والنار والتراب بلا أب ولا أم، وكما خَلَقَ حواء من ضلع آدم. وخَلَقَ عيسى من أم بلا أب. وواصل تخليق نسل آدم وبنيه من أب وأم. فسبحانه ما أعظم شأنه لا يحد ولا يتصور. وقد بين الله في القرآن الكريم حقيقة ولادة عيسى بن مريم (عليهما السلام) في بيان شامل: من ولادته إلى وفاته، ورفعه إليه.

ولكن اليهود والنصارى من أهل الكتاب اختلفوا في أمره، فمنهم من قال: هو ابن الله. ومنهم من قال: هو ثالث ثلاثة. ومنهم من قال: هو الله في عالم الناسوت. ومنهم من قال: هو عبد الله ورسوله. وهذا القول الأخير هو القول الحق من المنظور القرآني.

وحين انحرف بنو إسرائيل عن جادة الصواب، وتجاوزوا شرائع الله، وأهانوا الأنبياء والمرسلين، وأفسدوا في الأرض ظلما وطغيانا، بعث الله إليهم عيسى بن مريم رسولاً، وعَلَّمَه التوراة والإنجيل.

وقد أنزل الله (سبحانه وتعالى) على عيسى بن مريم الإنجيل الذي كان هدى ونوراً، مصدقاً لما في التوراة من شرائع وأحكام.

قد بادر عيسى (عليه السلام) بدعوة بني إسرائيل إلى عبادة إله واحد، والعمل بأحكام التوراة وشرائع الإنجيل، وأخذ يجادلهم بحكمة، وميَّز بين الحق والباطل، وحين ظهر عنادهم وكفرهم، استفسر عيسى (عليه السلام) قومه قائلاً من أنصاري إلى الله؟ فآمن به منهم الحواريون.

وقد منح الله عيسى (عليه السلام) أيضًا بعض المعجزات كما منحها الأنبياء الآخرين من قبله تائيدًا لصدق رسالته، فكان يصنع المسيح من الطين شيئا كهيئة الطير فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله، وكان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبر الناس بما كانوا يأكلون وما يدخرون من متاع الدنيا في بيوتهم. فبالغ اليهود في عداوته، وصرف الناس عنه وتكذيبه، واتهام أمه بما لم ترتكب من فاحشة.

وحين رأى اليهود أن الضعفاء والفقراء من الناس يؤمنون به، ويؤازرونه ويساندونه، دبروا له مكيدة لقتله، فحرضوا السلطة الرومانية ضده، وأوهموا الحاكم الروماني أن عيسى بن مريم يدعو الناس لإتاحة الحكم الروماني، فأمر الحاكم الروماني بالقبض عليه وصلبه. فشبهه الله للجنود الرومانيين برجل منافق منهم، فألقى القبض عليه وهم يعتقدون بأنه هو عيسى بن مريم فصلبوه. ولكن الله (سبحانه وتعالى) أنقذ حياته من مكيدة القتل والصلب. وسيأتي قبل قيام الساعة، ويكذِّب اليهود الذين زعموا قتله وصلبه، كما يكذِّب النصارى الذين اعتقدوا بأن فداءه وسيلة الغفران لمعاصيهم.

وعلى عكس ذلك قد أرسل الله عيسى بن مريم ليهدي بني إسرائيل إلى عبادة إله واحد. والذي يقول بأن عيسى بن مريم هو ابن الله أو ثالث ثلاثة فقوله كفر وبهتان عظيم.

فقد بدَّل اليهود والنصارى وأتباعهم من المسيحيين والصليبيين شريعة المسيح وحرفوا فيها، واعتقدوا بأن الإنسان حر مختار يعمل ما يشاء، فقد تحمل المسيح عن غفران كل معاصيه وذنوبه حتى يوم القيامة.

وقد بشر عيسى بن مريم (عليهما السلام) قبل وفاته ببعثة رسول من الله يأتي من بعده اسمه أحمد، وهو نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم).

هذا الكتاب بعنوان "عيسى بن مريم (عليهما السلام) واختلاف علماء اليهود النصارى في ميلاده وصلبه ثم التحريف في إنجيله من المنظور القرآني" ينطلق من مجموعة من الدوافع المهمة بناء على الاعتبارات الآتية:

- إن الشرق الأوسط مهد للديانات السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام، ومهبط الوحي للكتب السماوية الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن.
- إن منطقة الشرق الأوسط منطقة إستراتيجية هامة للسياسات الدولية بسبب الصراع السياسي والعسكري بين العرب وبني إسرائيل منذ مدة مديد، وخاصة منذ 1948م حيث كانت دولة فلسطين العربية تحت الانتداب البريطاني.
- إن الحرب الدائرة بين إسرائيل والحماس من الفلسطينيين من جهة، وإسرائيل والدول العربية والإسلامية في الشرق الأوسط: مصر وسوريا ولبنان واليمن وإيران من جهة أخرى في الوقت الراهن، دفعتنا إلى أن ندرس موضوع المسيح والمسيحية التي كانت ولاتزال همزة الوصل بين اليهودية والإسلام، لنعلم جذور الخلاف الديني والسياسي بين الفلسطينيين العرب المسلمين وغيرهم وأتباع الديانات التوحيدية الثلاثة أو آل إبراهيم (عليه السلام) بالشمول، ويمكن أن يكون هذا الصراع الدامي الدائر بينهم باسم تحرير "مسجد الأقصى" من براثن إسرائيل، وتحرير الأراضي العربية المحتلة من القبضة الحديدية لليهود

المستوطنين بطريقة غير مشروعة، إيذانًا لاندلاع الحرب العالمية الثالثة. فلا بد لنا أن ندرس هذه القضية السياسية والدينية من جذورها للوصول إلى حل مقنع لجميع الأطراف المعنية، وذلك لتقريب شعوب المنطقة إلى بعضها البعض من أساس الدين.

بناء على تلك الاعتبارات والدوافع، يهدف هذا الكتاب إلى:

1. معرفة حقيقة لميلاد عيسى بن مريم من غير أب خرقا للعادة وقانون الطبيعة.
2. معرفة معجزاته وحقيقة وفاته ورفعه إلى الله، لأن هذا الأمر هو ما اختلف فيه العلماء من اليهود والنصارى وغيرهم.
3. معرفة عقيدة التثليث بأقانيمها الثلاثة عند النصارى، والفرق بينها وبين عقيدة التوحيد المنزه من كل شائبة من شوائب الشرك عند المسلمين.
4. معرفة مصير إنجيل عيسى بن مريم بعد وفاته؟ وحقيقة الأناجيل المتداولة عند النصارى وغيرهم حاليًا، والتحريف فيها.

قد سبق هذا الكتاب كثير من الدراسات المهمة، وإن كانت تلك الدراسات تختلف في الهدف والأسلوب مع هذا الكتاب. نذكر أهم تلك الدراسات ليس على سبيل الحصر، كما يلي:

1. الهندي. رحمة الله. (بدون تاريخ). إظهار الحق. الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية. ج1-2.
2. من القرآن إلى الكتب المقدسة. (بدون تاريخ). ترجمة كتاب (إظهار الحق) بالأردية للشيخ رحمة الله الهندي.
3. تفسير إنجيل مرقس. ترجمه: عزيز فهيم. (1977). القاهرة.
4. محمد أبو زهرة. الشيخ. (1966). محاضرات في النصرانية. دار الفكر العربي. ط: الأولى.
5. ميخائيل. وديع. (1984). براهين ألوهية المسيح. الطبعة الرابعة.
6. ريلتون. موريس. "دراسات في العقيدة النصرانية": H. Maurice Relton: “Studies in Cristian Doctrine

جدير بالذكر أن هناك كتبًا كثيرة في هذا الموضوع، ولكننا اخترنا منها ما كان له اعتبار وثقة عند الباحثين والعلماء من المسلمين وغيرهم.

ويتكون هذا الكتاب من ستة فصول، حيث تناول في الفصل الأول نظريات فلاسفة اليونان القديم في تصور الإله وألوهيته، ثم تناول في الفصل الثاني الحديث عن بني إسرائيل، ثم تناول في الفصل الثالث الحديث عن ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام)، وفي الفصل الرابع تناول الكتاب عقيدة التثليث عند النصارى، وفي الفصل الخامس تناول عن التحريف في رسالة المسيح والأناجيل المقدسة عند النصارى، وفي الفصل السادي الأخير تناول الحديث عن التحريف في الديانة النصرانية.

نرجو من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب نافعا في إجلاء الحق وفي اهتداء الناس إلى الصراط المستقيم.

ميدان، 21 أبريل 2026 م

المؤلفون

صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري

زمخشري بن حسب الله طيب

تونانج حسن لوبس

محتويات الكتاب

الموضوعات...عدد الصفحات

مقدمة..هـ

محتويات الكتاب..ي

الفصل الأول: نظريات فلاسفة اليونان القديم في الإله وألوهيته.................1

أ. نظرية أفلاطون وأرسطو في وجود الله وألوهيته..........................7

ب. مذهب أفلاطون الجديد لفلاسفة الإسكندرية في الإله وألوهيته...........9

الفصل الثاني: بنو إسرائيل...12

1. تعريف بني إسرائيل...13

2. تعريف اليهود واليهودية..15

أ. اليهود...15

ب. اليهودية...16

ج. أحكام الوصايا العشر عند اليهود...17

الفصل الثالث: ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام)................22

أ. ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) في القرآن الكريم...........23

ب. ميلاد المسيح عيسى بن مريم في الكتب المقدسة عند النصارى.............25

الفصل الرابع: عقيدة التثليث عند النصارى...................................29

1. عقيدة التوحيد عند النصارى...32

2. عقيدة التوحيد في التثليث عند النصارى..................................33

3. عقيدة الاتحاد والحلول عند النصارى.....................................37

4. أدلة النصارى على عقيدة التثليث...38

5. بطلان عقيدة التثليث بأقوال المسيح (عليه السلام).........................48

6. لفظ الأب والابن في كتب العهد العتيق والعهد الجديد.................58
7. عقيدة الصلب والفداء عند النصارى..............................68
8. عقيدة الاصطباغ...73
9. عقيدة العشاء الرباني..74
10. عقيدة تقديس الصليب...75
11. عقيدة توريث الخطيئة الأصلية..................................76
12. بطلان هذه العقيدة الوهمية......................................78
الفصل الخامس: الكتب المقدسة عند النصارى.........................82
أ. العهد القديم..83
ب. العهد القديم...84
1. إنجيل عيسى بن مريم (عليهما السلام)...........................85
2. حقيقة الأناجيل الأربعة عند النصارى............................86
3. إنجيل متى..88
4. إنجيل مرقس..90
5. إنجيل لوقا..92
6. إنجيل يوحنا...94
7. إنجيل برنابا والحديث عن صلب المسيح.........................101
الفصل السادس: التحريف في الديانة النصرانية....................108
1. بولس ودوره في تحريف الديانة النصرانية.........................109
أ. عداء بولس الشديد للنصارى.....................................110
ب. شخصية بولس..114
ج. بولس وتلاميذ المسيح...114
د. تحريف بولس في عقيدة النصرانية................................116

2. بولس وعقيدة الصلب والفداء..118
3. أقوال الكتّاب النصارى عن بولس...................................121
4. قسطنطين ودوره في تحريف الديانة النصرانية............................123
خاتمة..125
الهوامش...146
المراجع والمصادر...154
عن المؤلفين...157

الفصل الأول:

نظريات فلاسفة اليونان القديم في الإله وألوهيته

الفصل الأول

نظريات فلاسفة اليونان القديم في الإله وألوهيته

لا شك أن تصور الإله وألوهيته عند اليونان لعب دورا مهما في تاريخ نشأة الفكر البشري وتطوره، ولكنه لم يستطع أن يحظى بما حظيت به اعتقادات الديانات الأخرى للأمم والشعوب في العالم، فكان لا يمكن أن نتجاهله في حديثنا عن الإله وألوهيته عند دراسة المسيح بن مريم (عليهما السلام) والديانة المسيحية.

ولذلك نرى من الأفضل أن نقوم أولًا بإلقاء الضوء على الصلات الثقافية بين الهند واليونان القديم بإيجاز:

إن حضارة النيل والفرات نشأت قبل مدة مديدة من نشأة مثيلتها في اليونان، وكانت لتأثير حضارة النيل والفرات أولوية في تقدم الحضارة اليونانية، ونحن نرى التشابه التام بين مناهج التفكير الهندية وعناصر الفلسفة اليونانية القديمة بشكل ملحوظ. وبناء على هذا التشابه من الطبيعي أن يتبادر الذهن إلى أن وجود تلك الخصائص في عناصر الفلسفة اليونانية هو من نتيجة تأثير التفكير الهندي. كما ذهب بعض المؤرخين إلى أن ما يعرف بمذهب (آرفي) فيه عناصر غير يونانية، لأنها خالية من مواصفات الطبع اليوناني، ويبدو أنها أخذت من آسيا. وموضوع هذا المذهب يتمركز على النجاة، يعني تحرر الروح من الجسد. ويرى (زيلر) أن هذا التصور نشأ في الهند، إلا أنه قال إن اليونانيين أخذوه من إيران، ولكن ما ظهر من نتائج أعمال التحقيق – فيما بعد – يدل على أن النجاة لم تكن عنصرا مهما لمذهب (زردشت) فليس من المستبعد أن هذا التصور بعد أن قطع كل هذه المسافات الطويلة وصل من الهند إلى اليونان مباشرة، وتأثر به الفكر اليوناني.

ومعلوم أن الرحلة نحو الشرق للتزود من العلم والمعرفة كان لها اعتبار في اليونان القديم، كما هو معلوم أيضًا أن بعض فلاسفة اليونان الذين سافروا إلى الشرق منهم

(ديموقريطس) الذى زار مصر وإيران، وأقام فيهما مدة طويلة. وكما يذكر أن (فيثاغورث) حين خرج من بيته في (ساموس) اتجه إلى مصر، وكذلك من المعلوم أن كلا من (سولن) و(أفلاطون) قام بزيارات متكررة للشرق، فليس من الغريب أن (فيثاغورث) وغيره سافر إلى الهند في ذلك العهد البدائي للفكر اليوناني، وهناك عناصر في فلسفة (فيثاغورث) يمكن أن يقال عنها إنها عناصر هندية بدون أدنى شك. وذلك بوجود التشابه التام بين تلك العناصر الهندية واليونانية.

ويذكر أن (أرسطو) أستاذ الإسكندر الأكبر أمره بأن يعلم شيئا عن علوم الهنود، لأن حكمة الهنود وعلومهم كانت معروفة في اليونان وقتئذ. والحكايات التي ترجمت بعد وفاة الإسكندر بالسريانية، ثم ترجمت منها بالعربية هي أيضًا تحكى لنا عن لقاء الإسكندر مع بعض الفلاسفة الهنود، واستفساراته في عديد من الموضوعات الفلسفية أثناء حديثه معهم، وفيها اعتراف الإسكندر واضح بأن المستوى الفكري في الهند كان أرفع من المستوى الفكري في اليونان وقتئذ. ومعلوم أن مؤسس فلسفة الشك (برهو) (المتوفي: 250 ق.م.) كان من ضمن أفراد الجيش اليوناني الذي وصل إلى الهند. وبعد وفاة الإسكندر أقام (سلوكس) روابطه بالملك (تشاندرا جوبت موريا)، وأما بالنسبة لـ (أشوكا) فهناك مكتوب قديم لا يزال موجودًا، ذكر فيه أن (أشوكا) أرسل بعض مبلغيه إلى الدول الواقعة على شواطئ بحر الروم وملوك اليونان، رغم أننا لا نجد ما يذكر عن هؤلاء المبلغين في كتابات الغربيين. والدول التي وردت أسماؤها في مكتوب (أشوكا) هي تلك التي وصل إليها الديانة البوذية على وجه اليقين – على حد قوله – والتشابه التام الذى نراه بين عناصر فلسفة (فيثاغورث) والتفكير الهندي هو ليس من قبيل المصادفة، حيث أنها تدل على وجود روابط ثقافية بين الهند واليونان من جهة، وصلات الأخذ والعطا من جهة أخرى. ووجود عناصر الفلسفة الهندية في فلسفة (فيثاغورث) يدل على أن فلسفة الهنود كانت متقدمة، وكان لها دور مؤثر في تطوير الفكر اليوناني البدائي. ويمكن أن نقول إن الفكر اليوناني قد تأثر بمنهج التفكير الهندي أولًا قبل ميلاد المسيح ثم أثر في تفكير الهنود بعد ميلاد المسيح، والمهم أن ما ظهر من العلم والفكر

من مساهمة الثقافتين: الهندية واليونانية، هو تراث للإنسانية جمعاء، فإذا بدأنا تدوين تاريخ الفكر والفلسفة من الهند، لكان هذا من باب الواقع، وبهذا لا يقل شأن اليونان الحضاري، كما لا يرتفع شأن الهنود. (1)

قد نشأت عقيدة التوحيد عند الإغريق في اليونان قبل خمسمائة سنة من ميلاد المسيح (عليه السلام)، حيث ظهرت في حكمة المعلم الحكيم سقراط (Socrates)، وهي تلك التي قام أفلاطون بتهذيبها وتدوينها، فكما رأينا شأن نشأة عقيدة التوحيد في الهند، نشأ في اليونان تصور خاص بالإيمان برب الأرباب، ثم تطور وتحوَّل إلى عقيدة التوحيد. وحين نطالع الأفكار القديمة لليونان في العقيدة نرى فيها عنصرين أساسيين بوضوح تام، الأولى تختص بالحياة بعد الموت، والثانية تختص بألوهية إله أكبر من كل شيء.

وأقدم فلسفة عند اليونان هي فلسفة الأجرام السماوية المعروفة بفلسفة آئيوني (Ionie)، نرى فيها أنها اعترفت بوجود أرواح غير مرئية للأجرام السماوية، ثم حاولت أن تبحث عن وجود روح فوق تلك الأرواح كلها، لأنها هي التي تصلح لتكون أصلا للكون كله.

ثم ظهر فيثاغورث (Pythagoras) قبل خمسمائة سنة من ميلاد المسيح، الذى أضاف عناصر فكرية جديدة إلى فلسفة اليونان القديمة، وبغض النظر عن صحة تلك الرواية وعدم صحتها التي تقول: إنه زار الهند، لأن هناك تشابه فكري تام بين منهجه الفكري ومنهج الفكر الهندي مثل: عقيدة التناسخ والاعتراف بوجود العنصر السماوي وبوجود النفس البشرية وانفراديتها، ومكاشفة الحقيقة عن طريق الإدراك، والاهتمام بوضع مبادئ لنظام الحياة، وهذه الأمور تقرب أبعاد المسافة بين الهند واليونان. ثم أسس على تلك المبادئ الفيلسوف أنكساغورس (Anaxagoras) الذى جاء بعد (فيثاغورث) الفلسفة اليونانية في شكل منهج كلي للكليات، وهكذا تم تأسيس الفلسفة اليونانية، وهي تلك الكليات التي أقام عليها سقراط وأفلاطون بناء كلياتهما، والفلاسفة الذين عاشوا في اليونان قبلهما لم

يتدخلوا في عبادة الآلهة في المعابد اليونانية القديمة، لأن أذهانهم وقلوبهم لم تكن خالية من تأثيرها كما نرى في تاريخ الصلات الثقافية بين الهند واليونان القديم. ولكن النتائج التي وصل إليها الفكر اليوناني كان فيها شيء من المرونة للرد على مقتضيات الفكر الفلسفي في ناحية، ولم يكن يتعارض الفكر مع العقائد القومية لعامة الناس في ناحية أخرى، كما نرى في تاريخ الديانة في الهند وجود التفاهم بين الفكر والعمل بين الخواص والعوام، فكان التصور الفلسفي اليوناني لعقيدة التوحيد المنزه للخواص، يتمشى عملا مع عبادة الأصنام (التماثيل) المتعددة لعامة الناس جنبا إلى جنب.

فمعنوية فكر سقراط العالي كانت أرفع من سقامة الفكر عند عامة الناس، فلم يستطع أن يتفق مع عبادة الأصنام، فظهر اعتقاده في التوحيد منزها من أي شائبة من شوائب التجسم والتشبه. يذكر مولانا أبو الكلام آزاد أن سقراط كان متهما بعدم التزامه ديانة عامة الناس في اليونان، لأن الديانة الوثنية عنده كانت عبارة عن فن التساؤل والعطا يعني كانت شبيهة أساليب تجارية خاصة باختصار، ولكن روح فكره العالي لم تستسلم للفكر الضيق القاصر لعصره، فتناول كأس السم بالصبر والاستقامة ولم يتردد ولم يستسلم أمام الباطل (2).

وكان آخر كلامه عند احتضاره الموت: "إنه يرحل من هذه الدنيا الدنيئة إلى عالم أعلى".

فقام أفلاطون بتدوين بحوث سقراط الفلسفية الحكيمة باسم (محاورة)، وقام بتقديمها بشكل مبادئ كاملة رتبها في شكل الكليات والأصول الجامعة عن طريق تحاليله المنطقية، حيث أنه وضع أساس بحوثه النظرية والفلسفية على تلك الكليات (Abstracts) فلم تتجرد عنده أية قضية من قضايا عصره – سواء كانت تتعلق بنظام الحكم أو بوجود ذات الله – من لباس الفكر والفلسفة: (IDEA).

فإذا كان للخيال وجود مستقل ومنفرد غير وجود المحسوسات، فالنفس الناطقة لها وجود منفرد أيضًا غير وجود الأشياء المحسوسة عند أفلاطون، يعني أنه كان يفرق بين المتخيل والمحسوس، فإذا كان للنفس وجود مستقل ومنفرد عن المادة، فذات الله أيضًا لها وجود غير وجود المحسوسات المادية، ولكنه فرّق بين الذات البشرية والذات الإلهية، فالأولى عنده فانية، يعني تفنى وتفقد وجودها المادي، والأخرى غير فانية يعني سرمدية تبقى وتخلد ولن تفني أبدًا، والذات الفانية لها رغبات، وهي تتمثل في الوجود المجسم (EGO) ، ولكن الذات الإلهية هي الأصل العاقل، وأصل الوجود لكل موجود، وهي منزهة تمامًا من خواص الحياة المادية، وهذه هي النفس الكلية العاقلة التي أشعلت مصباح النور لقوة الإدراك والاستيحاء بداخل وجود الإنسان. هنا يبدو أن تصور النفس الكلية عند الإغريق نوع من تصور (وحدة الوجود) الفلسفي. وكلمة (آتما) في الفلسفة الهندية، والنفس في الفلسفة اليونانية أصلا تسميتان لمسمى واحد، كما ظهرت (برم آتما) بعد ظهور (آتما) في الفلسفة الهندية، ثم ظهرت كلمة (النفس الكلية) بعد ظهور النفس في الفلسفة اليونانية. حيث نرى أن سقراط وصف الذات الإلهية (النفس الكلية) (AIRAGUS) بصفة الخير والجمال المطلق، بينما حاول أفلاطون أن يتجاوز هذا الحد في الكشف عن أبعاد الخير بجوانبها المختلفة، ولكنه لم يستطع أن يضيف شيئا جديدا إلى ما جاء به أستاذه سقراط من نظريات في صفات ذات الله المطلق (النفس الكلية) يعني أن سقراط وأفلاطون كليهما قاما بوصف النفس الكلية بالخير والجمال المطلق، ثم جاء أرسطو (ARISTOTLE) الذى أراد أن يضع الفلسفة في دائرة المحسوسات والمرئيات بعيدا عن تصور سقراط الروحى للنفس، فقسم الأصل العاقل إلى العقل الأول والعقل الفعال في تصور الذات الإلهية، أي الذات التي وصفها سقراط وأفلاطون بالخير والجمال المطلق، وصفها أرسطو بالعقل، وتوقف عند هذا الحد. ف (الخير والعقل) هو خلاصة الفلسفة اليونانية في تصور الإله وألوهيته. فمحاورات أفلاطون الواردة في (الجمهورية: REPUBLIC) مهمة جدًا لمعرفة تصور سقراط (للصفات الإلهية) بالوضوح، الذي ينحصر في أن يذكر الإله بصفات الخير الجديرة بذاته، وذاته هي الخير المطلق والجمال المطلق، فيجب ألا تخلو صفات

ذاته هي أيضًا من الخير والنفع، كما لا يمكن أن نتصور أي شر وضر صادر من ذاته، وهي عبارة عن الخير كله. فلا يجوز في حال من الأحوال أن نرجع جميع الحوادث والوقائع بخيرها وشرها إلى ذاته باعتباره المصدر الأول أو (العلة الأولى) فاتضح أن ذاته هي علة الخير النافع فحسب، وليست علة أي شر، فلا يمكن أن نتصور إلا بالخير، وليس بسواه. والشر يجب أن يرجع إلى أصل آخر غير ذاته.(3)

أ. نظرية أفلاطون وأرسطو في وجود الله وألوهيته

إن فلاسفة اليونان قد وصلوا في مباحثهم إلى وجود إله، ولكن رؤيتهم في الله لا يختلف عن رؤيتهم في العالم، لأنهم يرون بأن رب الكون والعالم حقيقة واحدة كما ذهب إليه الإيليون أو هو المثال الأعلى كما قال أفلاطون: "إن الذات الإلهية هي محل جميع المثل"، وقد أخضع إلهه للمثل، ولم ير فيه أكثر من أنه كائن متألف من عدة مُثُل"، أو أن الله في نظريته "ليس الصانع شخصا قائما بذاته، ولكنه يمثل ما للمثل من قدرة علية في المادة"، "فالله الصانع من حيث هو علة فاعلية تطبع صور المثل في المادة على نحو يصعب وصفه، وهو النموذج من حيث هو علة نموذجية تحتذى، وهو الجمال والخير من حيث هو علة غائية تحب وتطلب". "فالإله عند أفلاطون علة أساسية، وإذا لم يكن هو الخالق المنشىء فهو على الأقل المدبر المنظم". "يرى أفلاطون أن الإله ليس خيرًا فحسب، وإنما هو الخير ذاته، وهو عنده منزه عن الحركة، لأنه بقدر ما يكون الموجود بعيدا عن الحركة يكون سالما عن التغير، وبقدر ما يكون كذلك يكون أكثر كمالا، وهو أزلي وأبدي، لأن الزمان ليس إلا صورة متنقلة من صور الكائنات، ولا يمكن أن تنعكس على هذا الإله العظيم، فتحد وجوده بأي حال". وأما بقية المحامد والخصائص الكاملة، فيرى أفلاطون أنه ليس في حاجة إلى أن يبرهن على ثبوتها للإله، إذ هي بالضرورة لا تنفك عن وجوده، لأنه لا يكون إلها حقًا إلا إذا كان كاملا من كل وجه، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا أثبتت له جميع الخصائص الكاملة. وبرهن أفلاطون وجود الله تعالى ببراهين ثلاثة:

البرهان الأول: دلل به أفلاطون على وجود الإله كعلة فاعلة، وقال "إن كل ما ينشأ ينشأ ضرورة بفعل علة، لأن من المستحيل أن شيئا – أيا كان– ينشأ بدون علة." يعني كل ما يوجد – بعد أن لم يكن – لا بد لوجوده من علة مؤثرة فيه وهي لا تؤثر إلا إذا اشتملت على كل عناصر التأثير.

والبرهان الثاني: دلل به أفلاطون على وجوده كعلة محركة، وفي هذا الشأن يرى بأن المحرك هو نفس العالم، ولكن هذه النفس عنده من فعل الإله، وذلك لأنه يرى نوعين من الجواهر، النوع الأول هو الذي يستطيع أن يتحرك من نفسه ويحرك غيره، مثل النفس". والثاني هو الذي يستطيع أن تمر حركته إلى غيره، ولكنه لا يستطيع أن يتحرك من نفسه، مثل الجسم". فالأول في الكون هو الذي يحرك الثاني، ويسميه أفلاطون ب(نفس العالم) ولما كان من غير الممكن أن تكون النفس هي العلة الفاعلة لاتصافها بالحركة، فقد وجب أن تكون معلولة لعلة أخرى منزهة عن الحركة وهي العلة الأولى."

والبرهان الثالث: دلل به على وجوده كعلة غائية، وهذا البرهان في إثبات غاية مرادة لكل أفعال الطبيعة، وهذه البراهين الثلاثة كلها ترمي إلى إثبات وجود الإله وكماله التام وحكمته البالغة". (4)

ولكن أرسطوطاليس يناقض رأي أستاذه، "لأن الله عند أرسطو هو العلة الأولى أو المحرك الأول". "وليس جسما".(5) "وهذا المحرك الأول سابق للعالم في وجوده سبق العلة لا سبق الزمان. كما تسبق المقدمات نتائجها في العقل، ولكنها لا تسبقها في الترتيب الزمني". هذا لأن أرسطو يقول بقدم العالم. "والعالم قديم بمادته وصورته وحركته وأنواع موجوداته". والله مجرد العلة الغائية للعالم أو للوجود ولا يخلق العالم. (6)

فنجد هنا ثلاث قضايا، وهي كما يلي:

القضية الأولى: هي أن المحرك الأول ليس جسما، لأنه إن كان جسما، فلا يخلو من أن يكون إما لا متناهيا أو متناهيا، ولا يمكن أن يكون الجسم لا متناهيا، ولا يمكن أن يكون المحرك الأول جسما متناهيا، لأنه يمتنع أنه قوة متناهية تحرك حركة لا متناهية منذ الأزل إلى الأبد.

القضية الثانية: هي أن المحرك الأول يحرك دون أن يتحرك أو يتحرك، وهذا شأن (المعشوق والمعقول) أي شأن العلة الغائية، لأن المحرك الطبيعي ينفعل طبيعيا، والمحرك الإرادي ينفعل بالغاية، وهي لا تنفعل به. فالمحرك الأول هو (الخير بالذات)، فهو مبدأ الحركة، وهو المبدأ الذي تتعلق به السماء والطبيعة.(7)

القضية الثالثة: هي أن الله يحرك كمعقول ومعشوق. هو معقول، لأنه فعل محض، وفعله التعقل، فهو التعقل القائم بذاته. والتعقل بالذات تعقل الأحسن بالذات، أي الخير الأعظم، والتعقل فيه عين المعقول، فحياته تحقق أعلى كمال، ونحن لا نحياها إلا أوقاتا قصارا، أما هو فيحياها دائما أبدًا، وعلى نحو أعظم بكثير مما يتفق لنا"، ومعقولة ذاته لا شيء آخر، سوى أنه فعل محض لا يتأثر عن غيره، فإذا عقل غيره، فقد عقل أقل من ذاته، وانحطت قيمة فعله، فإن من الأشياء ما عدم رؤيته خير من رؤيته... فالعاقل فيه والمعقول والعقل واحد. "ولكن أفلاطون يستتبع في مذهب أرسطو أن الله لا يعلم العالم ولا يعني به". و"أن الله لا يعلم الموجودات في أنفسها كموضوعات يتلقى عنها علمه، ولكنه يعلمها في ماهيته التي هي نموذج الوجود. والمحرك الأول لا يعقل إلا ذاته بدعوى أنه لا يليق بجلاله علم ما في الأمور الدنيوية من الجزئيات الدنيئة.(8)

ب. مذهب أفلاطون الجديد لفلاسفة الإسكندرية في الإله وألوهيته

إن مذهب أفلاطون الجديد (Neo-Platonic) لفلاسفة الإسكندرية ظهر في القرن الثالث الميلادي، وكان مؤسس هذا المذهب (أمونيس سكاس) (Ammonius siccas) وكان خلفه

أفلاطينس (Plotinus) وكان تلميذه (فورفيرس (Porphyra) الذي كان يعتبر الشارح الأكبر لأرسطو في عصره، الذي أدخل مبادئ الأفلاطونية الجديدة في الفلسفة المثالية لأفلاطون. قال مولانا آزاد إن تعاليمه في ذات الإله كانت مبنية على تلك الأصول العقائدية التي كانت معروفة عند مذهب (أبانيشاد) في الهند، يعني أن الوسيلة الأصلية لمعرفة الحق (سبحانه وتعالى) هي الكشف، وليس الاستدلال، ودرجة الكمال في المعرفة هي درجة الجذب والفناء. ويعني أنه أيضًا اختار مسلك نفي الصفات عن ذات الإله، لأن وجوده المطلق وراء كل ما يملك الإنسان من مواهب وقدرات للتعبير عن صفاته. فلا يجوز أن نحكم في ذاته بأنه كذا وكذا، لأنه ليس كمثله شيء ظهر إلى الوجود، فلا نستطيع أن نحكم بأنه "مجرد وجود موجود" أو بأنه "هو جوهر كل موجود" وكذلك لا يمكن وصفه بالحياة، لأن الحقيقة فوق كل هذه التعابير اللفظية عن المحسوسات والمرئيات.

فوصل أفلاطينس إلى ما وصل إليه سقراط وأفلاطون في وصف الحقيقة بأنه "الخير" ولكنه توقف عند هذا الحد، ولم يقبل أي إضافة خيالية جديدة إلى "الخير" لأن أي إضافة جديدة من الخيال يكون فيها شيء من النقص، حتى أنه لم يقبل بأن يصفه بالعقل الأول كما ذهب إليه أرسطو في اكتشافه العقول المجردة، وعبر عن علة العلل بالعقل الأول. فقال أفلاطينس: فلا تقول بأنه (عقل)، لأنك إذا قلت لقسمته. ولكن لماذا نسميه (بالوجود) و(بالخير) مادام هو منزه عن جميع الصفات؟ فيرد بنفسه على هذا السؤال ويقول:

"إذا قلنا بأنه "الخير" فليس الهدف منه هو تشخص ذاته بهذا الوصف الذي له وجود بداخل ذاته، وإنما نريد بهذا التعبير أنه "مقصد" و"منتهي" ينتهي إليه كل شيء، فلهذا الاصطلاح غرض معين، وكذلك إذا قلنا بأنه متصف "بالوجود" فبهذا نريد أن نضعه خارج حدود العدم، لأنه وراء كل شيء، حتى أنه فوق كل التصورات للوجود".

فيمكن تلخيص نظرية (كليمنيت) الإسكندرية في عبارة موجزة كما يلي:

إنه قال: "لا يمكن التعرف على ما هو في كنه ذاته، وإنما يمكن ذلك بالتعرف على أنه ليس كمثله شيء"، فلم يبق أمامه طريق سوى السلب والنفي عن جميع صفاته، لأنه

أغلق جميع طرق الإيجاب والإثبات. وفي باب نفي الصفات عنه عند المذهب الأفلاطوني الجديد هو ما سمعنا من مذهب (أبانيشاد) المعبر عن أساس (نيتى نيتى) يعني الإنكار من كل وصف.

إن حكماء اليهود في العصور الوسطى اختاروا هذا المذهب الأفلاطوني الجديد. فكان موسى بن ميمون (المتوفي: 605 م) ينكر وصفه بالموجود، لأنه كان يرى أننا حين ننطق هذه الكلمة نشعر بأن ظلال صفات الموجودات المخلوقات تغطى شعورنا مباشرة، وذات الإله منزهة من هذه الصفات كلها. حتى أنه رفض أن يقول بأنه "وحده لاشريك له" لأن تصور (الوحدة) و(عدم الإشراك) أيضًا لا يخلو من تصورات النسبة الإضافية. فمذهب ابن ميمون لم يكن سوى صدى للمذهب الأفلاطوني الجديد.(9)

فهذه هي الصورة للإله في التصورات القديمة عند فلاسفة اليونان القديم ومدرسة الإسكندرية والفلسفة الهندية فقد تناولناها بإيجاز، لأن لها صلة جوهرية بالموضوع، ولأنها مهمة جدًا لدراسة الفصول الآتية الخاصة بصورة الإله الواحد في اليهودية والنصرانية، ولدراسة صلة التأثير والتأثر بين الديانات القديمة والعهد الجديد في بيان وصف الإله الواحد عند الشعوب والأجيال اللاحقة.

الفصل الثاني:

بنو إسرائيل

الفصل الثاني

بنو إسرائيل

1. تعريف بني إسرائيل

اسم إسرائيل كان يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام)، كان له 12 ولدا، فأسرته كانت تسمى أسرة بني إسرائيل، التي اصطفاها الله للنبوة في العهد العتيق، وبعث فيها مرسلين عددهم لا يعد ولا يحصى وموطنها الأصلي كان في مناطق فلسطين، إلا أن بني إسرائيل اضطروا إلى أن يعيشوا كمماليك مستعبدين في يد الملوك الفراعنة في مصر، وذلك بعد هجمات العمالقة المتواصلة واحتلالهم تلك المناطق من فلسطين، ثم قام موسى (عليه السلام) بإنقاذهم من عبودية الفراعنة، إلا أنهم لم يتمكنوا من استراد فلسطين من العمالقة وموسى (عليه السلام) قد مات، ثم جاء يوشع وبعده كالب (عليه السلام)، وقام يوشع (عليه السلام) في عهده بتحرير منطقة واسعة من فلسطين من احتلال العمالقة عن طريق الجهاد، إلا أن بني إسرائيل لم يكن في حظهم الاستقرار، فكانوا يعيشون مثل العرب الذين كانوا يحملون بيوتهم على أكتافهم بحثا عن الماء والكلأ، وكانت حياتهم شبه حياة قبلية بعيدة عن المدنية. والذي كان ينهى النزاعات فيما بينهم على أساس قوانينهم القبلية كانوا ينظرون إليه بنظر الاستحسان، وإذا وجدوا فيه قدرات عسكرية عينوه أميرا لجنودهم، وكانوا يسمونه "قاضيا"، وكتابهم "قضاة" مليئ بقصص هؤلاء القضاة. ولذلك يسمون ذلك العهد "عهد القضاة".

وقد نجح بنو إسرائيل في الدفاع عن الهجمات من الخارج، إلا أنهم وقعوا مغلوبين مقهورين في يد الكنعانيين، ففرض الكنعانيون سيادتهم على رقعة واسعة من أرض فلسطين، ودامت سيادتكم عليها حتى عهد داود (عليه السلام). وأخيرا بعث الله صموئيل رسولا إلى بني إسرائيل، فعرضوا عليه أن ينقذهم من معاناة الحياة القبلية، ويدعو الله ليجعل فيهم ملكا

ينظم شؤون حياتهم، حتى يواجهوا الفلسطينيين. فتم تعيين واحد منهم ملكا اسمه (طالوت) كما ورد في القرآن، إلا أنه ذُكِرَ في كتبهم باسم (ساول) أو (صموئيل). فواجه "طالوت" الفلسطينيين، وكان داود (عليه السلام) شابا اشترك في جيش طالوت مصادفة. فطلب واحد من جيش الفلسطينيين اسمه (جالوت) المبارزة من داود (عليه السلام)، فقتله داود، فزادت شعبيته في بني إسرائيل، حتى عينوه ملكا لهم بعد (ساول). ومنح الله (سبحانه وتعالى) ملكا لبني إسرائيل الرسالة أول مرة. فاسترد بنو إسرائيل الأراضي المحتلة من فلسطين كاملة في عهد داود (عليه السلام). وجاء بعده سليمان (عليه السلام) عام 974 ق.م. وأحكم أركان سلطنة بني إسرائيل. وبنى بيتا بأمر الله عرف بالقدس، وسمى دولته باسم جَدِّه "يهوداه" إلا أن ابنه "رحبعام" أخذ زمام أمور المملكة بعد وفاة والده سليمان (عليه السلام) عام 937 ق.م. إلا أنه لم يكن أهلا ليمسك زمام أمور المملكة، فقضى على سمعة المملكة الدينية، بل أضر استحكامها السياسي ضرراً بالغا. حتى ثار عليه خادم سابق لأبيه سليمان (عليه السلام)، وأسس مملكة مستقلة باسم (إسرائيل). وانقسم بنو إسرائيل بين دولتين: (إسرائيل) في الشمال، عاصمتها "سامرة" (Somaria) و"يهودية" في الجنوب عاصمتها (يروشلم) ثم دارت بينهما سلسلة طويلة من الخلافات السياسية والمذهبية التي دامت حتى غارة (بخت نصر). وبدأت تنتشر فيهما عبادة الأوثان شيئا فشيئا، فبعث الله فيهم الأنبياء والمرسلين، ولما تجاوزت انحرافاتهم كل حد، سلط عليهم الله (سبحانه وتعالى) (بخت نصر) ملك بابل، الذي شَنَّ على (يورشلم) عدة غارات في عام 586 ق.م. حتى دمرها في الغارة الأخيرة تدميرا تامًا، على إثرها أسر الملك "صدقياه" كما أسر هؤلاء اليهود الذين نجوا من القتال، وذهب بهم إلى (بابل). فعاش هؤلاء اليهود حياة المستعبدين المستضعفين لمدة طويلة.

ولما فتح خسرو من أكاسرة إيران (بابل) في عام 536 ق.م. أذِنَ لهم بالعودة إلى (يورشلم) وتعمير بيتهم المقدس مرة أخرى. فتم تعمير القدس في 515 ق.م. واستوطن اليهود فيها مرة أخرى.

وسلطنة إسرائيل كانت قد دمرت على أيدي الآسوريين قبل يهوداه. وكانت قد قلت وتضاءلت خلافاتهم المذهبية إلى حد كبير، ولكن لم يكن في نصيبهم قيامُ دولة. فعاش بنو إسرائيل جميعًا صاغرين وخاضعين لملوك من غير رضاهم منذ عام 400 ق.م. ثم تسلط عليهم الإسكندر الأكبر في عام 332 ق.م. فقاموا بترجمة التوراة ترجمة يونانية في تلك المدة، وتعرف تلك الترجمة باسم الترجمة السبعونية (Septuagint) (للعهد القديم) قام بها 72 عالما يهوديا في 72 يومًا.

ثم قتل ملك الشام (إنتيوكس إيبي فينس) اليهود قتلا جماعيًا في 165 ق.م. وأحرق كل نسخة من التوراة، فكَوَّنَ (يهوداه المكابي) وكان رجلا ذا همة عالية من بني إسرائيل، جماعةً خلال تلك الفترة، وتمكن من استرداد رقعة واسعة من فلسطين، وطرد منها الملوك الأسوريين. وأقام دولة للمكابيين دامت حتى سنة 70م.(10)

2. تعريف اليهود واليهودية

أ. اليهود

قال أبو الحسن علي الحسني الندوي في تعريف اليهود: "وكانت في أوربا وآسيا وإفريقيا أمة، هي أغني أمم الأرض مادة في الدين، وأقربها فهما لمصطلحاته ومعانيه، أولئك هم اليهود، ولكن لم يكونوا عاملا من عوامل الحضارة والسياسة أو الدين يؤثر في غيرهم، بل قضي عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم، وأن يكونوا عرضة للاضطهاد والاستبداد، والنفي والجلاء، والعذاب والبلاء. وقد أورثهم تاريخهم الخاص وما تفردوا به بين أمم الأرض من العبودية الطويلة والاضطهاد الفظيع والكبرياء القومية، والإدلال بالنسب، والجشع وشهوة المال وتعاطي الربا، أورثهم كل ذلك نفسية غريبة لم توجد في أمة وانفردوا بخصائص خلقية كانت لهم شعارا على تعاقب الأعصار والأجيال، منها الخنوع عند الضعف، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة، والختل والنفاق في عامة الأحوال، والقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله. وقد وصفهم القرآن وصفا دقيقا وعميقا يصور ما كانوا عليه

في القرنين السادس والسابع من تدهور خلقي، وانحطاط نفسي، وفساد اجتماعي، عزلوا بذلك عن إمامة الأمم وقيادة العالم. (11)

ب. اليهودية

واليهودية ديانة وأسرة، يعني أن اليهودي معناه كل من ينتمي إلى أسرة يهودا الذي كان من إخوة يوسف (عليه السلام)، وإله اليهود هو إله أسرة يهودا من بني إسرائيل، فكان نطاق هذا التصور لإله محدودا جدًا، وعلى الرغم من أنه بدأ يتسع بالتدريج، ولكن ملامح الاختصاص الأسرى الرئيسية لإله بني إسرائيل في تصورهم قد ظلت باقية في لون من الألوان، وشكل من الأشكال الأسرية والجغرافية عبر العصور حتى طلوع الإسلام. وأما من ناحية التجسيم والتنزية، فكان الإله عندهم يتصف بصفات القهر والغضب والانتقام، فكانت صفاته كصفات الإنسان في شدة القهر والانتقام، فالأسلوب التمثيلي البدائي كان من مزايا صحف التوراة.

وبالنسبة للعلاقة بين الإنسان ومعبوده، فكانت نوعية تلك العلاقة كعلاقة الزوج الغيور بزوجته، والزوج الغيور يمكن أن يعفو عن جميع خطايا زوجته سوى أن تشارك هي في حبها لزوجه أحدا غيره، فهو ذنب لا يغفر، فإله أسرة بنى إسرائيل غيور جدًا، وأنه اختار أسرة بني إسرائيل من بين أسر أخرى، لتكون هي زوجته المحببة كما تتجلي هذه الحقيقة في دعواهم (نحن شعب الله المختار) كما ورد في الوصايا العشر: (Ten commandments) ما معناه: "لا تصوروا شيئا مثله، لأنه ليس كمثله شيء، ولا تركعوا له (لغيره)، لأن إلهكم إله غيور ذو غيرة شديدة" – سنذكر هذه الوصايا العشر بعد قليل– هذا التمثيل اليهودي لإله في صورة زوج غيور بدأ يظهر بعد خروج اليهود من مصر، وبقي حتى جاء الإسلام، إلا أنه لا يمثل سوى التفكير البدائي الغير الناضج للعهد العتيق.

وفي العهد الجديد لليهودية لوحظت عناصر التوسع في التصور اليهودي الضيق لديانتهم، وكان المناخ الفكري للزمن ملائما لقبول تلك الصورة الجديدة للديانة اليهودية،

فعلى عكس ما كان عليه التصور اليهودي لإله في العهد العتيق من شدة القهر والغضب والعذاب، حلت محلها الرحمة والشفقة والعفو والمغفرة، فلم يكن إله التصور المسيحي كالملك الجابر القاهر، ولم يكن عفيفا كزوج غيور شديد في غيرته وغليظ في انتقامه، وإنما كان كأب مثالي للعطف والحنان نحو ابنه، ولا شك أن علاقة الوالدين بالأبناء أسمى من جميع العلاقات في حياة الإنسان، لا دخل فيها لأغراض الهوى كما نرى في العلاقات بين الزوجين، لأن هذه العلاقة عبارة عن عاطفة الرحمة والشفقة والتربية وتوفير وسائلها اللازمة، حتى في حالة صدور أخطاء كثيرة ومتكررة من الأبناء، فلا تحرم الأم ابنها من حبها وحنانها قط، كما لا ترفض شفقة الأب العفو عن أخطائه. فهذا التمثيل المسيحي لتصور إله في علاقته بالإنسان كان أفضل نسبيا من تمثيل الزوج الغليظ عند اليهود في حالة عدم وجود وسيلة للتعبير عن تصور الإله بدون استخدام وسائل على أساس التشابه في العلاقات التي تربط إنسان بإنسان.

وأما من ناحية التجسيم والتنزيه، فالمستوى الفكري لتصور الإله عند النصارى هو ذلك الذي انتهى إليه التصور اليهودي، ولكن حين امتزجت عقيدة التوحيد بتصور عبادة الأصنام في الروم، وفلسفة الإسكندرية في تصوير الأصنام غلبت عليها عقيدة الأقانيم الثلاثة، والكفارة، وعبادة المسيح (عليه السلام)، ثم ظهر تصور خاص بإله في شكل عبادة الأصنام، فكانوا ينكرون عبادة الأصنام، ولكنهم كانوا يتجاهلون ما كان لديهم من عبادة مقترنة بتعدد الآلهة. فكان تصور الإله المتمثل في أب عطوف وحنون عند النصارى بعد اختلاطه بالأقانيم الثلاثة تصورا إشراكيا، وبعيدا عن التوحيد الخالص.

ج. أحكام الوصايا العشر عند اليهود

جاء في التوراة أن الله (سبحانه وتعالى) أوحى لموسى (عليه السلام) بحفظ الوصايا العشرة، منها:

1. إخلاص الألوهية لله (سبحانه وتعالى).
2. عدم الإشراك بالله الواحد الأحد آلهة أخرى في العبادة.

3. وعدم النطق باسم الله بالباطل.

4. وحفظ السبت.

5. وبر الوالدين.

6. وحب الأقرباء كحب المرء لنفسه.

7. والنهي عن القتل والزني والسرقة وشهادة الزور.

8. وتحريم النظر إلى النساء بشهوة.

9. وتحريم النظر إلى ما أنعم الله به على الآخرين. (سفر الخروج: 20/ 2- 17)، و(سفر التثنية: 5/ 6- 21).

10. وغيرها من الوصايا الأخرى التي تتعلق بعمل القلب وبعمل الجوارح كما دلت عليها عدة نصوص من كتب العهد العتيق.(12)

وجاء في الإنجيل أن عيسى بن مريم "المسيح" (عليه السلام) أمر بحفظ هذه الوصايا التي أمرت بحفظها التوراة، فقال المسيح في إنجيل متى: {إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له أية الوصايا، فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك.} (متى: 19/ 18-20). وفي إنجيل متى أيضًا: {وسأله واحد منهم قائلاً: يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس، فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك، وبهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء.} (متى: 22/ 35-40). وفي إنجيل مرقس جاء بزيادة (لا تسلب). وفيه أيضًا أنه حين سأله أحد الكتبة أية وصية هي الكل، فأجابه بمثل ما أوصى به في النصوص السابقة. وفيه أيضًا: (فقال له الكاتب جيدًا يا معلم، بالحق قلت لأنه الله واحد، وليس آخر سواه، ومحبته من كل قلب ومن كل الفهم، ومن كل النفس، ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح، فلما رآه يسوع إنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيدا عن ملكوت الله.(13)

هذه الوصايا التي أمر الله تعالى بها في شريعة موسى وعيسى (عليهما السلام) أمر الله تعالى بها في شريعة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، بل جاء في القرآن الكريم ما هو أشمل وأكمل مما جاء في التوراة والإنجيل، لأنه آخر الكتب الإلهية المنزلة على خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد أمر الله تعالى في سورة النساء، بإخلاص العبودية له (سبحانه وتعالى)، وأن لا يشرك به شيئا، وبالوالدين إحسانا، وبذى القربى، واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب، والصاحب بالجنب وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، وأن الله لا يحب من كان مختالا فخورا، ونهى عن البخل، وكتمان ما يؤتيه من الفضل، ونهى عن الظلم، وعن إنفاق الأموال رئاء الناس.(14)

كما ورد في سورة الإسراء، الأمر بحفظ تلك الوصايا، إضافةً إلى النهي عن التبذير، وعن قتل الأولاد خشية الإملاق، وعن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعن أكل مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، وفيها الأمر بالوفاء بالعهد، والوفاء بالكيل، والنهي عن تتبع الإنسان ما ليس له به علم، وعن المشى في الأرض تكبرا وبطرا وتعاظما على الخلق.(15) وفي نهاية هذه الوصايا، قال الله (سبحانه وتعالى): {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقي في جهنم ملوما مدحورا}.(16)

وقد اتفقت الشرائع الإلهية المنزلة على موسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام)، على وجوب حفظ الوصية الأولى، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الألوهية لله سبحانه دون سواه، وعدم الشرك به في ألوهيته وأسمائه وصفاته، كما يتفق الإسلام مع الشرائع الإلهية السابقة في وجوب حفظ الوصايا الأخرى، ما عدا الوصية التي تأمر بتعظيم يوم السبت، فإنه من خصائص شريعة موسى وعيسى (عليهما السلام)، وقد خص الله شريعة الإسلام بيوم الجمعة. كما خص الله شريعة الإسلام بوجوب حفظ وصايا أخرى فاقت ما سبقتها من الشرائع، لأن شريعة الإسلام خاتمة الشرائع ورسوله خاتم المرسلين ورسالاتهم.

وقد خالف النصارى العهد بحفظ الوصية الأولى والعظمى- بعد ما رفع المسيح (عليه السلام)- حفظ الوصية الأولى، التي اتفقت عليها الشرائع الإلهية، التي أمرت بتوحيد

الله (عز وجل) في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وإخلاص العبودية لله وحده دون سواه، فبعد ثلاثة قرون من رفع المسيح (عليه السلام) عقد النصارى مجمعًا لهم، اشترك فيه أحبارهم ورهبانهم في نيقية سنة 325م، فأقروا فيه تأليه المسيح، وأنه إله مع الله (سبحانه وتعالى) عن قولهم، فقالوا: (ونؤمن... برب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الأب، المولود الوحيد أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم، وقام أيضًا في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات).(17)

ونلخص القول إن الوحى الإلهي المنزل على نوح والنبيين (عليهم السلام) من بعده حتى آخرهم وخاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، نزل بشرع واحد هو أصول الدين التي تتفق فيها جميع الرسالات الإلهية، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجزاء والحساب والأعمال الصالحة والسيئة. يعني تتفق الرسالات الإلهية على ثلاثة مبادئ:

أ. الإيمان بإله واحد (وبمن جاء بالصحف الإلهية من الرسل والملائكة).

ب. الدعوة إلى الأعمال الصالحة.

ج. البعث بعد الموت (للجزاء والحساب).

فهذه المبادئ الثلاثة لدين الله (سبحانه وتعالى) لا تتغير من دين لآخر ومن نبي لآخر.

أما الشرائع والأحكام التي تنظم شؤون حياة البشر التي تتعلق بسعادته في حياته ومعاشه، فتختلف حسب طبيعة الزمن وعقليته من طور البدائية إلى طور المدنية. فكانت أولى الشرائع الإلهية التي نزلت لتنظيم شؤون حياة البشر، هي شريعة التوراة المنزلة على موسى (عليه السلام)، فقد شرع الله تعالى فيها حفظ الناموس الإلهي.

ثم كانت شريعة موسى (عليه السلام) شريعة النبيين من بعده حتى آخر أنبياء بني إسرائيل المسيح عيسى بن مريم الذي أنزل عليه الله (سبحانه وتعالى) الإنجيل مصدقا لما بين

يديه من شرائع التوراة. والعمل بما فيها من أحكام، وليحل لبني إسرائيل ما كان محرما عليهم في التوراة من عند الله.

بغض النظر عن سلطنة المكابيين الصغيرة تلك، إن الشعب اليهودي كله كان قد انتشر، وكانت مستوطناتهم قائمة في المناطق القريبة من بحر الروم. وبعد نهاية نفيهم إلى بابل كان قد رجع عدد كبير منهم إلى فلسطين، ولكن الأغلبية لم تظل مقيمة في بابل. وكانت (أورشلم) خاضعة للحكومة الرومية، كان الرومان يسمونها (يهودية) وكان يحكمها الوالي المعين من قبل الروم، وأما من ناحية الوسائل المادية، فكان لا يمكن أن يتنفس اليهود في جو من الحرية، فكانت عيونهم متعلقة بحدوث شيء إيجابي في المستقبل، وكانت أغلبية من اليهود تنتظر أن يرسله الله (سبحانه وتعالى) من ينقذهم من حياة العبودية، ويقيم لهم ملكا وملكا. سنتناول انحراف النصارى عن شريعة موسى وعيسى (عليهما السلام)، والتحريف في الصحف الإلهية فيما بعد.

الفصل الثالث:

ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام)

الفصل الثالث

ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام)

كان قيصر الروم أغسطس، وحاكم "يهودية" هيروديس آنذاك. وفي مثل تلك الظروف ولد عيسى (عليه السلام). وليس هناك سند نعتمد عليه في بيان حياة عيسى بن مريم سوى الأناجيل الأربعة، التي هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة حياته الطيبة، ولكنها لا تصلح للاعتماد عليها. فنذكر أولًا ما ذكر عنه في القرآن الكريم.

أ. ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) في القرآن الكريم

أما ما ذكر عن عيسى بن مريم (عليهما السلام) في القرآن الكريم هو يتلخص في هذه النقاط الأربعة:

1. إنه إنسان بشر عبد الله عز وجل، حملته مريم ووضعته بإرادة الله (سبحانه وتعالى).
2. إنه رسول، أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل.
3. آتاه الله (سبحانه وتعالى) الكتاب، وهو الإنجيل.
4. إنه برَّأ أمه مما رماها به القوم من البغاء، كما أعلن براءته مما نسبه إليه القوم من الألوهية والتثليث والصلب وغيرها.

هذه النقاط الأربعة مذكورة في القرآن الكريم، يقول الله (سبحانه وتعالى) في سورة مريم: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (21) ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا

قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا،(25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ.} (الآية: 36) (سورة مريم: 16-36). (18)

يقول الله (سبحانه وتعالى) في ذكره:

فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها، وسلّمت لأمر الله، وحملته حتى أتت به قومها.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى، حتى إذا كلّمها، يعني عيسى، وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها.

وقال السديّ في ذلك ما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما ولدته ذهب الشيطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدّون، فدعوها (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ).

وقوله (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) يقول تعالى ذكره: فلما رأوا مريم، ورأوا معها الولد الذي ولدته، قالوا لها: يا مريم لقد جئت بأمر عجيب، وأحدثت حدثا عظيما.(19)

ب. ميلاد المسيح عيسى بن مريم في الكتب المقدسة عند النصارى

فقد قال متى في بداية إنجيله عن ولادة عيسى بن مريم: (أما ولادة يسوع فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذا كان بارا ولم يشأ يشهرها أراد تخليتها سرا. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا: يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من روح القدس. فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل. هو ذا العذراء تحبل، وتلد ابنا ويدعون اسمه (عمانوئيل) الذي تفسيره "الله معنا". فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا اسمه يسوع.(20)

ويقول متى: (ولما ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيردوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم، قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في الشرق وأتينا لنسجد له. فلما سمع هيردوس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه. فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين وُلِدَ المسيح. فقالوا له في بيت لحم اليهودية، لأنه مكتوب بالنبي وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل).(21)

ولما علم (هيردوس) بأمر المسيح عزم على قتله كما أخبر متى، فظهر الملك يوسف في المنام، وأمره بأن يأخذ الصبي وأمه ويخرج من أورشلم، فخرجوا ليلا، وذهبوا إلى مصر، ويذكر متى أنه بعد موت هيردوس جاء الملك يوسف أمره بالعودة إلى فلسطين تم انصرف

إلى نواحي الجليل، وسكن مدينة **الناصرة**. ولذلك سمي **النصارى** بالنصارى الذين يتبعون المسيح الناصري وسمي دينه بـ**(النصرانية)**.

ولم تذكر الأناجيل شيئا هاما يوضح حياة المسيح (عليه السلام)، وبخاصة قبل بعثته في صباه وشبابه سوى ما جاء في إنجيل برنايا. ففي إنجيل لوقا: (وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة، وكانت نعمة الله وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشلم في عيد الفصح ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشلم كعادة العيد. وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشلم ويوسف وأمه لم يعلما. وإذ ظناه بين الرفقة ذهب مسيرة يوم وكانا يطالبانه بين الأقرباء والمعارف ولما لم يجداه رجعا إلى أورشلم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته).(22)

وهنا يقول بولس شباط: "إن الأناجيل قد أوجزت الكلام عن حياة عيسى من مولوده إلى دعوته فلم تذكر منها إلا النذر اليسير، ولا كتب الإنجيليون سوى أنه كان يزاول التجارة".(23)

وكذلك يقول ول ديورانت: "لا يذكر أصحاب الأناجيل إلا القليل الذي لا يغني عن شباب المسيح، فهم يقولون إنه اختتن حين بلغ الثامنة من عمره، ولقد كان يوسف نجارا وإن ما كان في ذلك العصر من توارث المهن ليوحى بأن يسوع قد احترف هذه الحرفة اللطيفة وقتا ما".(24).

فالنصارى بأنفسهم يعترفون بأن الأناجيل لم تذكر إلا القليل عن فترة هامة من حياة المسيح (عليه السلام) من وقت صباه إلى وقت بعثته، وقد ذكر بعضهم أن المسيح كان يعمل بالتجارة، وذكر بعضهم أنه كان نجارا، ويمكن القول بأن المسيح قد يكون مارس المهنتين: التجارة والنجارة معا أو كل واحدة منهما على حدة في فترات متقطعة.

وتذكر الأناجيل أن المسيح كان قد بدأ دعوته بعد موت يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا عليهما السلام).

وقد عاش المسيح بين الناس يتعرض لما يتعرضوا له من مشقات تتعبهم وآلام تحزنهم ومسرات تفرحهم وكان ينفعل، وتجيش نفسه بشتى العواطف والانفعالات التي يعرفها كل الناس. بل إنه كان يقبل على الحياة أكثر مما فعل سلفه يحيى بن زكريا (عليهما السلام)، فذلك ما شهد به المسيح وكذلك شهد به كتبة الأناجيل.(25)

فكان مسيح ابن مريم يعتريه ما كان يعترى أى إنسان، فكان يأكل ويشرب ويحب، وكانت تلاحقه متاعب الحياة وأحزانها، ويلحقه العجز، ويغضب ويعنف ويخاف ويضطرب ويفزع، مما يؤكد بشريته، وصدق الله تعالى في القرآن الكريم، إذ قال: "ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنَّى يؤفكون".(26)

ويلخص حبيب سعيد حياة عيسى بن مريم (عليهما السلام) في سطور بقوله: "ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن المسيح ولد في فلسطين من عذراء طاهرة لم يمسها رجل من قرية بيت لحم، وفي عصر أغسطس قيصر الروم وفي بداية خدمته العامة التي ناهزت ثلاث سنوات قضاها يعلم الناس عن ملكوت الله، ملكوت البر والحق والمحبة والخير، ويشفي المرضى ويجري المعجزات الباهرات، وتصدى له الفريسيون اليهود وهم الحفاظ على الناموس والصدوقيون وهم طبقة الكهنوت الإرستقراطية والرومان الذين خشوا على سلطتهم من تعاليمه الجديدة وحكموا عليه بالموت".(27)

وهناك مصادر إسلامية كثيرة لمعرفة حياة المسيح بن مريم (عليهما السلام). إننا كتبنا نبذة عن حياته هنا قبل بيان عقيدة التثليث عند النصارى، لأنهم يعتقدون في ألوهية المسيح عن طريق الاتحاد والحلول. ويقولون إنه واحد من الثلاثة، والثلاثة في واحد، وحتى الآن لم يتمكنوا من الخروج من هذه المعمعة. فكان يجب أن نلقي الضوء على شخصية

المسيح ليتجلى شأنه، أنه هو المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم فحملت به، وولدته من غير أب، ونطق في المهد معترفا ومقرا بعبوديته لله (سبحانه وتعالى) وتنفيذا لما أمره به، ومبرئا لأمه وبرأ بها، ونشأ كما ينشأ الفتيان وتعلم العلم، وعمل بالتجارة والنجارة، وكان يعتريه ما يعترى سائر الناس، وكان يأكل ويشرب وينام ويفرح ويحزن ويغضب ويسر، ونزل عليه الوحي من الله وهو في السن الثلاثين من عمره واستمر فترة ثلاث سنين وبضعة أشهر، دبر له اليهود المكايد كى يتخلصوا منه إلا أن الله نجاه منهم. وهناك اختلاف شديد بين النصارى في حقيقة عيسى بن مريم بكونه بشرا مثلنا، وبكونه إلها حسب عقيدة النصارى. فسنحاول أن نقدم آراء هؤلاء وهؤلاء من ناحية الناسوت واللاهوت، ليتجلى شأن المسيح (عليه السلام).

الفصل الرابع:

عقيدة التثليث عند النصارى

الفصل الرابع
عقيدة التثليث عند النصارى

إن النصرانية لم تكن هي وحدها مؤمنة بعقيدة التثليث، ولا أول دين ظهرت فيه هذه العقيدة، وإنما جذورها ترجع إلى العصور القديمة من تاريخ البشر.

فنقل الأستاذ محمد بن طاهر التنير قول (موريس) في عقيدة التثليث: "كانت عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي أى أن الإله ذو ثلاثة أقانيم".

وقال دوان: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث أى القول: بأن الإله المعبود ذو ثلاثة أقانيم، والهنود يدعون هذا التثليث بلغتهم (الهندية) "تري مورتي" ومعاناها أقانيم ثلاثة، وهي: "برهما"، و"فشنو"، و"شيوا" ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة، وهي الرب والمخلص "وشيوا" ومجموع هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد.

وجاء في كتب البرهميين الهندوس المقدسة والمعتبرة لديهم: أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج ويوضحونه بقولهم: براهما يمثل مبادئ التكوين والخلق، ولا يزال خلاقا إلهيا، هو: (الأب) و"فشنو" يمثل مبادئ الحماية والحفظ، وهو: (الابن) المنفك المنقلب عن الحال اللاهوتية، و"شيوا" المبدئ، المهلك والمبيد والمعيد، وهو: (روح القدس).

والبوذيون من سكان الصين واليابان يعبدون إلها مثلث الأقانيم يسمونه: (فو) ويقولون إن (فو) واحد، ولكنه ذو ثلاثة أشكال.

وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث، وهو أولا الله ثم الكلمة ثم الروح.

وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم، وهم: (أهورا مزدا، ومترا، وأهرامان) "فأهورا مزدا" خلاق، و"مترا" ابن الله المخلص والوسيط، و"أهرامان": المهلك -كما سبق-

وكان إسكندنافيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، يدعونه (أوين، تورا، وفري) ويقولون عن هذه الأقانيم الثلاثة إنها إله واحد.

وسكان سيبريا القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويدعون الأقنوم الأول من هذا الثالوث المقدس: خالق كل شيء. والأقنوم الثاني: إله الجنود، والأقنوم الثالث: روح المحبة السماوية. ثم يقولون: إن هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد.

وقال العلامة (Squire): "والهندوس الكنديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويصورونه بشكل صنم له ثلاث رؤوس على جسد واحد، ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة.(28)

وهكذا هذا التشابه الكبير بين هذه الديانات الوثنية والنصرانية فيما يتصل بعقيدة التثليث، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه العقيدة كانت سابقة على النصرانية، وأنها اقتبستها من تلك الديانات الوثنية، وأدخلتها ضمن تعاليمها، ولا إنكار من وجود صلة بين الشرق والغرب وتبادل ثقافي بين الأمم في القديم والحديث.

أما مسألة الاعتقاد في وجود واجب الوجود عند النصارى، فإنهم لا يختلفون عن مذاهب أخرى في الإيمان بوجود ذات واجب الوجود بجميع صفاتها الكمالية، كما يكتب مؤرس ريلتون:

"إن النصرانية تعتقد في وجود إله لم يزل ولا يزال، الذي يتصف بجميع صفات الكمال الممكنة. والذي يمكن أن نحس بوجوده، ولكن لا يمكن إدراكه بالكامل. فلا يحد ولا يتصور بالقوى المدركة لأذهاننا. فلا نعلم عن ذاته علم اليقين سوى ما ذكر عنها للإنسان في التنزيل الإلهي (الوحي)".

1. عقيدة التوحيد عند النصارى

قال الشيخ محمد الغزالي: "المعروف أن العلاقة بين أفراد الثالوث المقدس لم تأخذ وضعها النهائي إلا بعد مجامع كبرى عقدها آباء الكنيسة، وأصدروا فيها القرارات التي تمخضت عنها دراساتهم.

وقد افتتح مجمع "نيقية" هذه السلسلة بأن أصدر قرارا يقضي بألوهية عيسى بن الله -كما يقولون-

ثم أصدر مجمع آخر قرارا بألوهية الروح القدس. ثم اختلفت المجاميع- بعد- في القول باتحاد طبيعة الابن والأب: هل لهما إرادة واحدة، أم أن مشيئتهما متغايرة؟؟ .. وبكل قالت فرقة.

ثم كان آخر أطوار هذا الاعتقاد المنشور الذي أصدره (بيوس) بابا رومة باعتبار (مريم) في مصاف الآلهة. (29)

ولكن عقيدتهم في الأقانيم الثلاثة معقدة، وآراءهم متضاربة، وتفاصيلها غير معقولة. فالنصارى يؤمنون بأن الإله المعبود مركب من ثلاثة أقانيم (Persons) يعني (ثلاثة شخصيات): (الأب) و(الابن) و(روح القدس) وهذه العقيدة تعرف بعقيدة التثليث: (Trinitarian Doctrine) ولكن ما هي الأقانيم الثلاثة التي يتركب بمجموعها الإله المعبود عندهم؟ ففي الرد على هذا السؤال تصاريح علماء النصارى للتعبير عنها والشرح لها مختلفة ومتناقضة، ومن الصعب أن نقول بالتحديد عن تلك الأقانيم الثلاثة التي يتركب بمجموعها الإله المعبود.

- فيقول البعض: إن الإله اسم لمجموع (الأب) و(الابن) و(روح القدس)
- ويقول البعض: إن الإله اسم لمجموع (الأب) و(الابن) و(مريم العذراء).(30)

2. عقيدة التوحيد في التثليث عند النصارى

وقد اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة التثليث، وقد أقرت هذه العقيدة أول مرة في المجمع القسطنطيني المنعقد في سنة 381م والذي أكمل ما بدأه مجمع نيقية في سنة 325م، الذي قرر عقيدة التأليه والبنوة فقط، ولم يرد ذكر لعقيدة الروح القدس، فأتي هذا المجمع وقرر ألوهية الروح القدس، وبذلك وصلت النصرانية إلى القول بالتثليث في العقيدة، فزعموا أن الله (سبحانه وتعالى) يتكون من ثلاثة أقانيم أى ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة: (الأب) و(الابن) و(الروح القدس) هي الذات الإلهية، فإذا تجلى الله ذاتا سمى الأب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس.(31)

ثم اختلفوا في هوية كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة وصلته بالإله المجموع: (Trinity) فقال البعض: كل منها إله تام يعني الأب عند النصارى إله تام، والابن إله تام والروح القدس إله تام. ولكن المذهب الكاثوليكي لا يذهب إلى الاعتقاد بثلاثة آلهة.

ثم الأقانيم الثلاثة ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها، بل ثلاثة شخصيات متميزة غير منفصلة، متساوية فائقة عن التصور. هذا ما نسميه التوحيد في التثليث.

1. وقال البعض إن كل أقنوم من هذه الأقانيم إله مستقل ومنفصل، إلا أن كل واحد منها أقل درجة من الإله المجموع، وإنما أطلق على كل واحد اسم الإله بمعناه الواسع.(32)

2. وقال البعض إن كل أقنوم من هذه الثلاثة ليس إلها، وإنما الإله له هو المجموع من هذه الأقانيم الثلاثة فقط. هذا القول منسوب إلى الفرقة المرقولية.(33)

3. وقد تناول عالم جليل من علماء النصارى سنت أغسطين (St. Agustine) عاش في القرن الثالث الميلادي، هذا الموضوع في كتابه المعروف بـ (التوحيد في التثليث) بالإنجليزية (On the Trinity) فيقول: إنني درست علماء النصارى الكاثوليكيين الذين كتبوا في التثليث وأرادوا أن يعلموا في ضوء الصحف المقدسة للعهد العتيق والجديد، بأن الأب والابن والروح

القدس يؤلفون "وحدة" لا تقبل التجزى والانقسام من حيث ماهيتها وحقيقتها، فالأقانيم الثلاثة ليست ثلاثة آلهة، وإنما هي بمجموعها إله واحد. وذلك على الرغم أن الأب خلق الابن، فالأب ليس هو الابن، وكذلك ليس الابن هو الأب، لأنه خلق من أبيه، وكذلك الروح (القدس) التي هي روح الأب والابن، لها أيضًا درجة متساوية، ولها سهم في تأليف الوحدة للثالوث، ولكن يجب ألا يتصور أن هذه الوحدة في التثليث قد خلقت من بطن مريم العذراء، وصلبت ثم دفنت، وفي اليوم الثالث من بعد دفنها قامت ودخلت الجنة، فهذه الوقائع لم تكن مختصة بالثالوث الموحد، وإنما حدثت لأقنوم الابن فحسب. وكذلك يجب ألا يتصور أن هذه الوحدة هي تلك التي كانت قد نزلت على يسوع المسيح في صورة الحمام. (انظر التفصيل في كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي) وإنما ذلك الحادث كان مختصا بالروح القدس، وعلى هذا القياس لا يصح أن يتصور بأن هذه الوحدة للثالوث نادته حين كان واقفا مع تلاميذه على الجبل، وقالت له: "أنت ابني". (إشارة إلى وقعة التجلي الواردة في متى 1: 5)، فهذه الكلمات كانت كلمات نطق بها الأب. فكما لا تقبل الأقانيم الثلاثة: "الأب والابن والروح القدس" التقسيم والتجزى فهذه الوحدة للثالوث المقدس تعمل أيضًا أعمالا موحدة. وهذه هي عقيدتي، لأنها هي عقيدة كاثوليكية، وأنا أنتمي إليها.(34)

فما الجواز لهذا الثالوث الموحد عند النصارى؟ لمعرفة هذا السؤال يجب أن نعلم حقيقة كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة: الأب والابن والروح القدس.

أ. **الأب**: (The Father)

المراد من "الأب" عند النصارى ذات الإله المعبود وحدها، بصرف النظر عن صفة كلامه وصفة حياته (سبحانه وتعالى).

هذه الذات (الإلهية) أصل (Principle) لوجود ذات الابن. فحسب تعبير فيلسوف نصراني شهير (سنت تهامس ايكونياس) "الأب" ليس المراد منه أن الله ولد يسوع أو أحداً غيره، وكذلك ليس المراد منه أيضًا أن الله كان موجوداً في حين لم يكن للابن وجود، بل هذا

مصطلح إلهي، والمراد منه هو التدليل على أن الأب أصل للابن، كما تكون الذات أصلا للصفة. وكذلك ليس المراد منه (الأب) أن وجود الابن مقترن بوجود الأب زمنيا. يعني ليس المراد منه إثبات أولية لأى واحد منهما: الأب والابن.(35)

فهنا نفهم أن الله ذات ويسوع صفته، وصفات الله الذاتية أزلية لا تنفك من ذاته (سبحانه وتعالى). وهذه الصفات الذاتية لا وجود لها من غير الذات.

ولكن لماذا سميت ذات الله تعالى باسم "الأب"؟

فكتب "الفرد إي جاردي" ردا على هذا السؤال: لفظ "الأب" يؤكد على عدة حقائق، منها:

أ. إن المخلوقات كلها محتاجة في وجودها إلى الله (سبحانه وتعالى)، كما يكون الابن محتاجا إلى أبيه.

ب. إن الله رحيم وشفيق لعباده، كرحمة الأب وشفقته لابنه.(36)

ب. الابن: (The Son)

والمراد من "الابن" عند النصارى صفة كلام الله (سبحانه وتعالى) (Word Of The God) ولكنها تختلف عن صفة الكلام للإنسان، كما يكتب (ايكويناس) للتفريق بين صفة الكلام للإنسان وصفة الكلام لله سبحانه: ليس لصفة الكلام البشرى وجود جوهري، ولذلك تسمى صفة الكلام البشرى ابنا أو مولودا، ولكن صفة كلام الله صفة جوهرية، ولها وجود في ماهية ذات الله، ولذلك تسمى ابن الله حقيقتا، وليس مجازاً، وأصلها يسمى "الأب" يعني الذات الإلهية.

وطبقا لعقيدة النصارى تتجمع المعلومات عن طريق هذه الصفة، يعني هذه الصفة لها صلة مباشرة بعلمية الله (سبحانه وتعالى). وهذه الصفة لله أزلية قديمة مثل أزلية ذاته

سبحانه. وقد حلت صفة الله هذه في شخصية يسوع المسيح البشرية، ولذلك يسمى ابن الله. وعقيدة الحلول عقيدة مستقلة سنتناولها بعد قليل –إن شاء الله– بشيء من التفصيل.

ج. **الروح القدس**: (Holy Spirit)

والمراد من روح القدس صفة الحياة وصفة المحبة للأب والابن، وبهذه الصفة تحب ذات الأب (الله) صفة العلمية (الابن) وكذلك الابن يحب الأب، فلهذه الصفة وجود جوهري مثل صفة كلامه ، وهذه الصفة هي الأخرى أزلية قديمة، ولذلك لها أقنوم مستقل (شخصية مستقلة) كما ورد في كتاب "مدينة الإله لأغسطين":(37)

فيعتقد النصارى أن هذه الصفة الأزلية حلت في جسم حمام، ونزلت على المسيح (عليه السلام). (38)

وحين رفع المسيح إلى الله نزلت صفة روح القدس في شكل كلمات نارية على الحواريين للمسيح (عليه السلام).(39)

فخلاصة عقيدة التوحيد في التثليث هي أن الإله المعبود عند النصارى يطلق على ثلاثة أقانيم (شخصيات):

أ. ذات الله ويطلقون عليها "**الأب**".

ب. صفة كلام الله، ويطلقون عليها "**الابن**".

جـ وصفة الحياة والمحبة، ويطلقون عليها "**الروح القدس**".

وكل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة إله مستقل، ولكن مجموع هذه الأقانيم الثلاثة يعني الثالوث المقدس ليس عندهم ثلاثة آلهة، وإنما هو إله واحد.

فهنا يجب أن نقف موقف المتأمل للتفريق بين الذات والصفات الإلهية. لأن الذات الإلهية واحدة، ولكن صفاته الذاتية متعددة، منها صفة الكلام وصفة العلمية، وهذه الصفات

جزء من ذاته (سبحانه وتعالى)، وليست زائدة عليها، وتصور الذات الإلهية من غير هذه الصفات الذاتية الأزلية محال، لأنها لا تنفك عنها أبدا.

فلا يقبل العقل والمنطق السليم أن تتحول بعض الصفات الإلهية إلى ذوات ثلاثة آلهة مستقلة (ثلاثة أقانيم أو شخصيات مستقلة) لأن هذا الاعتقاد يدل على تعدد القدماء، وبالتالي يدل على إشراك آلهة أخرى في عبادة الإله الواحد الأحد.

لأننا إذا قلنا إن كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة إله مستقل حسب عقيدة النصارى، فكيف نقول إن الله واحد، لأنه قد أصبح ثلاثة بداهة.

3. عقيدة الاتحاد والحلول عند النصارى

قال العلامة المقريزي في كتابه المسمى في بيان عقيدة الاتحاد عند الفرق المسيحية التي كانت في عصره: (النصارى فرق كثيرة: الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء) ثم قال: (والملكانية واليعقوبية والنسطورية كلهم متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم الثلاثة هي واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس إله واحد). ثم قال:

"قالوا: قد اتحد الابن بإنسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحداً، وإن المسيح هو إله العباد وربهم، ثم اختلفوا في صفة الاتحاد، فزعم بعضهم أن الاتحاد وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي، ولم يخرج هذا الاتحاد أى واحد منهما عن جوهريته وعنصره، وإن المسيح إله معبود، وإنه ابن مريم الذي حملته وولدته، وإنه قتل وصلب. وزعم قوم أن للمسيح بعد الاتحاد جوهران، أحدهما لاهوتي والآخر ناسوتي، وأن القتل والصلب قد وقع من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته، وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته، وهذا قول النسطورية".

- وزعم قوم أن الاتحاد كان من جهة حلول الابن في الجسد ومخالطته إياه.

- ومنهم من زعم أن الاتحاد كان من جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش، إذا وقع على طين أو شمع، وكظهور صورة الإنسان في المرآة إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم.
- والملكانية تنسب إلى ملك الروم، وهم يقولون: إن الله اسم لثلاثة معان، فهو واحد ثلاثة، وثلاثة واحد.
- واليعقوبية وهم يقولون: إنه واحد قديم، وإنه كان لا جسم ولا إنسان ثم تجسم وتأنس.
- والمرقولية قالوا: الله واحد، علمه غيره وقديم معه، فالمسيح ابن الله من جهة الرحمة، كما يقال إبراهيم خليل الله.
- فاتضح أن آراءهم في بيان كيفية الاتحاد بين أقنوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة في غاية الاختلاف، ولذلك نرى البراهين في الكتب الإسلامية مختلفة.

4. أدلة النصارى على عقيدة التثليث

يعتمد النصارى فيما ذهبوا إليه من عقيدة التثليث على ما ورد من نصوص في الكتاب المقدس عندهم، فجاء في رسالة يوحنا الأولى: (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد)(40)

وجاء في إنجيل يوحنا: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله).(41).

وذكر في رسالة بولس إلى أهل كولوس: (فإنه فيه أى المسيح. خلق الكل ما في السماوات، وما على الأرض، وما يرى، وما لا يرى سواء كان عروشا أو سيادات، أم رياسات، أم سلاطين، الكل به، وله خُلِقَ الذي هو كل شيء، وفيه يقوم الكل).(42)

وجاء في إنجيل لوقا في بشارة مريم بالمسيح: (الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك، فذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله).(43)

ويقول القس: (وديع ميخائيل): "لا يمكن أن يوجد تعبير عن حقيقة الثالوث أوضح مما قاله المسيح فيما يتصل بفريضة المعمودية: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس) ويقول: نلاحظ أن الرب قال: "باسم" وليس بـ"أسماء"، لأنها أقانيم، فهناك أقانيم ثلاثة متساوية.(44)

وأدلى القس (إلياس مقار) أيضًا بنفس رأي، وقال: "ولعله من اللازم أن نشير إلى أن المسيحية التزمت بصيغة الوحدانية في شعار المعمودية الذي (هو) بأسماء (الأب والابن والروح القدس).

ولكن معمعة الواحد في ثلاثة، والثلاثة في الواحد لاتزال فوق إدراك القوي العقلية لأي إنسان عاقل. وقد حاول المفكرون الكبار من النصارى أن يخرجوا من هذه المعمعة سنوات وسنوات، ولكن لم يظهر أى حل معقول ومقنع لهذه المعمعة حتى الآن. والبحوث التي ظهرت لعلاج هذه المسألة في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث من فرق النصارى المختلفة، قد تناولها مورس ريلتون في كتابه: "دراسات في عقيدة النصارى" (Studies in Christian Doctrine) قائلاً:

حين حاولت فرقة أبيوني: (Ebionites) أن يقدم حلا لهذه المسألة، فاستسلمت في الخطوة الأولى، وقالت: لا يمكن أن تبقي عقيدة التوحيد سليمة بعد هذا الاعتقاد بأن المسيح (عليه السلام) إله. (ثم قالت:) يجب أن نعترف بأنه لم يكن إلها تاما، بل ينبغي لنا أن نقول: إنه شبيه الله أو نقول: إنه صورة أخلاق الله، ولكن لا يمكن أن نقول: إنه من حيث حقيقته وماهيته كان إلها مثل "الأب".

فحاولت تلك الفرقة أن تقدم حلا لهذه المشكلة بضرب على أساس العقيدة النصرانية، ولذلك خالفت الكنيسة، واعتبرت حلها بدعة وإلحادا (Heretics) فلم يكن يصلح للقبول عند النصارى.

ثم قال البعض من تلك الفرقة: "لا تنكروا ألوهية المسيح (عليه السلام) بالكامل صراحة، واعترفوا بأنه كان إلها، ولكن لنجتنب اتهام الشرك يمكن أن يقال إنه لم يكن إلها بذاته، وإنما منحه الأب الألوهية، فيتحقق التوحيد من هذه الناحية أن الإله أصلا هو الأب فقط، ولكن عقيدة التثليث أيضًا صحيحة، لأن الأب منح الابن وروح القدس أيضًا صفة الألوهية.

ولكن هذه النظرية كانت تخالف عقائد الكنيسة بشكل عام، لأن الكنيسة تعتقد في أن الابن إله تام بالذات مثل الأب ، فتم اعتبار هذه الفرقة أيضًا فرقة ملحدة. فلم ينسجم أى حل لهذه المسألة المعقدة عند النصارى.

فقامت فرقة ثالثة اسمها بيتري بشين، وكان على رأسها الزعيم "بريجزيس" (Praxes) والزعيم "كالستس" (Calistus) و"زيفائرينوس" (Zephyrinus) فقدم هؤلاء الزعماء فلسفة جديدة لحل هذه المسألة، وقالوا: "إن شخصية كل من الأب والابن ليست شخصية منفردة ومنفصلة، بل هما وجهان مختلفان لشخصية واحدة، وسمي كل وجه باسم مختلف. فالإله أصلا هو الأب، وهو قديم لا يزال بذاته، لا تدركه الأبصار، ولا يتعرض لما يتعرض له الإنسان من حيث التحاق العوارض، ولكنه على كل شيء قدير، فمادام هو قادر مطلق، أراد أن يتجلى في مظاهر البشرية، ويتظاهر بما يتعرض له الإنسان، فلا يمكن أن يمنعه أحد. فيمكن أن يراه الناس في صورة البشر، حتى أنه يستطيع أن يتظاهر بموته. فذات مرة أراد الله أن يتجلى في صورة البشر، فظهر للناس في صورة يسوع المسيح في الدنيا. فقام اليهود بإيذائه، حتى صلبوه ذات يوم. ففي الحقيقة أقنوم يسوع المسيح أو الابن ليس أقنوما منفصلاً (أو شخصية منفصلة) عن الأب، بل إنه هو الأب، الذي غير شكله، ثم سمى نفسه الابن.(45)

فهذه المحاولة كانت تخالف نظرية الكنيسة التي تؤمن بأن لكل واحد من الأب والابن شخصية مستقلة ومتساوية، وكل واحد منهما إله له وجود على حدة. فاعتبرت محاولة هذه الفرقة بدعة، لأنها جعلت الأب والابن إلها واحدا.

أما بالنسبة لعلماء الدين المسيحي والمسئولين الكبار في الكنيسة الكاثوليكية في روما، فإن الأغلبية منهم أنكرت أن تقوم بحل هذه المعضلة صراحة، وقالت إن موضوع التثليث أو التوحيد في التثليث: (يعني الإله المعبود عبارة عن ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم الثلاثة واحد أصلا) سر فوق قوة الإدراك البشرية.

فقال بعض علماء الدين المسيحي الهنود إن عقيدة التثليث عند النصارى من المتشابهات، كما نرى حروفا مقطعات في القرآن وآية "الرحمن على العرش استوى" وغيرها من الآيات المتشابهات في الإسلام. فنرد على هذه المغالطة.

أولًا: إن الآيات المتشابهات التي نحن عاجزون عن إدراك معانيها، لا تشتمل أبدا على عقائد الدين الأساسية، التي يكون الإيمان بها من الشروط الأولية للنجاة، والعقائد التي كلف الله العباد بالإيمان بها، قد بينها صراحة، ولا يمكن أن يتحداها دليل عقلي.

ثانيا: إن المتشابهات تكون من تلك الأمور التي لا يضر عدم إدراكها نجاة الإنسان، والتي لا يكون إدراكها مدارا للعقائد ولأحكام الشرائع العملية. إلا أن عقيدة التثليث عند النصارى، على عكس ذلك، هي العقيدة الأولى والأساسية التي لا يمكن نجاة الإنسان إلا بها. فإذا افترضها بأن عقيدة التثليث من المتشابهات، فمعنى هذا الافتراض الخاطئ أن الله (سبحانه وتعالى) كلف عباده بإدراك أو إيمان بما هو فوق قوة إدراك البشر. يعني أن التثليث عند النصارى مدار إيمانهم، وشرط لنجاتهم، إلا أنهم عاجزون عن إدراكها. أما الآيات المتشابهات في القرآن، فلا يتوقف عليها الإسلام والإيمان، فلا يتأثر إيمان المؤمن،حتى إذا جهل عن معانيها طول عمره.

ثم اعتبار عقيدة التثليث من المتشابهات دليل يدل على الجهل عن حقيقة المتشابهات أو عن حقيقة الدين المسيحي، لأن المراد من المتشابهات، هو ما لا يستطيع الإنسان أن يدركه، وليس معناه أنه يناقض العقل، فالمتشابه يكون فوق إدراك البشر، ولكنه لا يناقض العقل. وللمتشابهات قسمان:

القسم الأول: هو ما لا يدرك مثل الحروف المقطعات: "الم" وغيرها.

والقسم الثاني: هو ما يدرك معناه الظاهري، إلا أنه يناقض العقل. فيقال إن المراد منه ليس معناه الظاهري الذي يناقض العقل، ومعناه الأصلي لا يدرك، مثل قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى". فلا تدخل عقيدة التثليث عند النصارى في باب القسم الأول من المتشابهات، لأن الكلمات المستخدمة فيها لها مفهوم ظاهري يدرك. وكذلك إنها لا تدخل في باب القسم الثاني أيضًا، لأن مفهومها الظاهري يناقض العقل، لأن العقل الواعي المدرك لحقائق الأشياء يقول: إن 1 × 3=3، 3 ×1=3، أما ما يعتقد به النصارى من أن الأقانيم الثلاثة تساوي واحدا، فيناقض العقل صراحة، إذ أنهم يقولون إن 1× 3=3، و3×1=1 وهذا لم يقل به العقل، ولا يقبله أبدا، وكيف يقبل العقل أن الثلاثة تكون واحدا، خاصة إذا كان هؤلاء الثلاثة قد وجدوا على دفعات وفقرات متفاوتة وأزمان متباعدة، ولم يوجدوا في آن واحد.

ولا يستعبد أن علماء النصارى من الهنود لم يدركوا تفاصيل الدين المسيحي إدراكا تاما ببعدهم عن المراكز الأصلية للنصرانية، فكما نرى البابا قائم الدين يشرح عقيدة التوحيد في التثليث في رسالة قصيرة عنوانها: (تكشيف التثليث) طبعت في "لاهور"سنة 1927م بمثال، وهو أن الإنسان مركب من أجزاء مادية في تكوينه، وتلاحظ العيون المادية كيفية هذا التكوين المادي، فنرى أن جسد الإنسان مركب من ثلاثة أشياء: العظم واللحم والدم، فالجسد لا يتكون إلا بمجموعها، وإذا خلا أى جزء من هذه الثلاثة لما تكون الجسد البشري.(46)

فنرد عليه قائلاً: إن عقيدة التوحيد في التثليث لا تصلح لأن تكون عقيدة دينية يؤمن بها أحد من البشر، لأن هذه العقيدة تناقض العقل بحيث أنها تقوم على المتناقضات والمستحيلات، لأن العقل لا يمكن أن يتصور إلها واحدا مكونا أو مركبا من أجزاء، أو عناصر ثلاثة، فالشيء المركب لا يتكون، ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك الأجزاء والعناصر،

فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها، والله لم يكن مسبوقا بشيء فهو الأزلي وحده، فكيف يمكن أن يكون مكونا من أجزاء أو عناصر؟ وكذلك فإن الشيء المركب يفتقر في تحققه وتكوينه إلى كل جزء من أجزائه، فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية، والله (سبحانه وتعالى) لا يفتقر إلى شيء، ولا يحتاج إلى أحد، فهو الغني وحده، والكل محتاج إليه، كما أنه لابد للمركب من مُرَكِّب يتولى تركيب أجزائه وضم بعضها إلى بعض، حتى يتكون الكل ويصير كاملا، والله (سبحانه وتعالى) لم يكونه أو يركبه أحد، ولا علة له، فهو موجود بذاته أزلا، كما أن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وناصره ومقداره، فهو محدود بحدود الأجزاء التي ركب منها، وبالتالي فمن الممكن رؤيته وتحديده، والله (سبحانه وتعالى) غير محدود بحدود، ولا متناه، ولا يحده مكان أو زمان، ولم يره أحد، فهو غير مركب بل واحد مطلقًا.

ثم فإن التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار. ولا افتقار بين الواجبات، لأنه من خواص الممكنات، فالواجب لا يفتقر إلى الغير، وكل جزء منفصل عن الآخر، وغيره كذلك وإن كان داخلا في المجموع، فالله في عقيدة التثليث مركب من ثلاثة أجزاء، وكل مركب يفتقر في تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه، والجزء غير الكل بالبداهة، فكل مركب مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الله ممكنا لذاته وهذا باطل، لأن الإله المعبود هو واجب الوجود وليس ممكن الوجود لذاته.(47)

ثم نلاحظ أن البابا قائم الدين يفهم أن المراد من الأقانيم الثلاثة هو ثلاثة أجزاء، وكل شيء يتركب من ثلاثة أجزاء، يكون واحدا في تركيبه المجموعي، وكذلك الذات الإلهية واحدة رغم أنها مركبة من ثلاثة أقانيم. ولكن الدين المسيحي لا يعتقد بأن الأقانيم الثلاثة هي ثلاثة أجزاء، بل إنه يرى أن لكل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة وجود مستقل. ولذلك تم اختار كلمة "أقنوم" أو شخصية (Person) للتعبير عن الأب والابن وروح القدس بدلا من كلمة أجزاء، ولا ريب أن جسد الإنسان مركب من العظم واللحم والدم، ولكن لا يسمى

أحد العظم بمفرده أو اللحم بمفرده، أو الدم بمفرده إنسانا. والنصرانية تؤمن بأن لكل أقنوم وجود مستقل، فهو إله بذاته.

فاتضح أن علماء النصارى الهنود الذين يريدون أن يثبتوا التثليث بالبراهين العقلية، هم لا يعلمون التفاصيل لحقائق دينهم، فأدلتهم لا تصلح لأن نلتفت إليها، فلنرى ما قاله العلماء المتقدمون من النصارى في هذا الموضوع، في الواقع أن الكتاب الذي ألفه عالم شهير (سنت أغسطين) في القرن الثالث الميلادي بعنوان: (On the Trinity) أى (عقيدة التثليث) قد استقى منه كل من جاء بعده، حيث أن هذا الكتاب جامع ومبسوط، والكتاب الذي ظهر باسم (Basic Writing of St. Augustine) أى (الكتابة الأساسية لسنت أغسطين التي طبعت في نيويورك سنة 1948م) هو جزء من مجموعة مقالات أغسطين.

إن الجزء الكبير من كتاب المؤلف الفاضل أغسطين يحتوي على المنقولات، إلا أنه حاول أن يثبت نظرية التوحيد في التثليث من بعض الأمثلة، وذلك لشرح هذه النظرية بالعقل كما نرى في هذا المثال:

"إن دماغ الإنسان آلة لتحصيل العلم، ويبدو أن العالم والمعلوم وآلة تحصيل العلم (الدماغ) ثلاثة أشياء على حدة، وبينها مغايرة. فإذا كان وجود زيد في دماغك، فأنت عالم، وزيد معلوم، والدماغ آلة كسب العلم، فنرى:

العالم — أنت

والمعلوم — زيد

وآلة العلم — الدماغ

وبكون الدماغ يعلم أيضًا أن له وجود، فالعالم هو الدماغ أصلا، والمعلوم هو الدماغ، وآلة العلم هي الدماغ أيضًا بداهة.

فالعالم هو الدماغ

والمعلوم هو الدماغ

وآلة العلم هو الدماغ

فيمكن أن نقول إن العالم والمعلوم وآلة العلم ثلاثة أشياء على حد أصلا، وبينها مغايرة، ولكنها صارت واحدة متمثلة ومجتمعة في الدماغ، فالعالم له وجود، والمعلوم له وجود، وآلة العلم لها وجود، ومعنى ذلك أن الدماغ يحمل ثلاثة صفات، كل من يحمل واحدة من هذه الصفات الثلاثة يمكن وصفه بالدماغ، فبناء على ذلك لا نستطيع أن نقول إن الدماغ ثلاثة أشياء منفردة، فقس على ذلك أن الله عبارة عن الأقانيم الثلاثة، وكل أقنوم منها إله، ولكن ليس معنى ذلك إن الإله المعبود ثلاثة، وإنما هو إله واحد.(48)

ولا شك أن أغسطين قد أثبت عبقريته الذهنية بتقديم هذا المثال، ولكننا إذا أمعنا النظر في هذا المثال بالانصاف لقلنا إن معمعة التوحيد في التثليث لاتزال قائمة، لأن الدماغ في المثال المذكور هو أصلا واحد، وتثليثه تثليث اعتباري، وليس حقيقيا. فللرد على هذا الدليل نقول إن الدين المسيحي على عكس ذلك يعتقد بأن التوحيد حقيقي، والتثليث أيضًا حقيقي، يعني التوحيد والتثليث كلاهما حقيقيان في وقت واحد.

ففي المثال المذكور للدماغ ثلاثة حالات، من حيث كونه عالما، ومن حيث كونه معلوما، ومن حيث كونه وسيلة أو آلة لتحصيل العلم، ولكن الدماغ من حيث وجوده الخارجي واحد، يعني المصداق الخارجي العالم هو الدماغ، وكذلك المصداق الخارجي للمعلوم وآلة العلم هو الدماغ أيضًا، فالدماغ العالم ليس له وجود مستقل، والدماغ المعلوم ليس له وجود مستقل، وكذلك الدماغ الذي هو وسيلة لكسب العلم لايحمل وجودا مستقلا. ولكن الأقانيم الثلاثة في الدين المسيحي هي ليست ثلاثة حالات اعتبارية لإله واحد، بل لكل أقنوم منها وجود مستقل، فلكل من الأب والابن والروح القدس وجود مستقل حقيقتا وليس اعتباريا.

ونلخص الكلام ونقول إن الدين المسيحي يدعى بأن الوحدة والكثرة أى (التوحيد) و(التثليث) كلتاهما حقيقيتان في وجود ذات واجب الوجود (الإله المعبود) والمثال المقدم من

أغسطين – الذي سبق– نرى فيه الوحدة حقيقية، ولكن الكثرة ليست حقيقية، وإنما هي اعتبارية. فلا يثبت منه الاتحاد بين الواحد والثلاثة. ومعلوم أن الكثرة في الصفات لوجود ذات الإله الأحد ليست محلا للنزاع. فكل الديانات تعتقد بأن الإله واحد أصلا، ولكن له صفات كثيرة، مثل: الرحمن، الرحيم، القهار، الغفار، عالم الغيب، والقادر المطلق وغيرها من الصفات الحسنى لله (سبحانه وتعالى). فليس من الإمكان ثبوت التوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي، إلا لزم اجتماع الضدين الحقيقيين وهو محال، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله تعالى بالتوحيد الحقيقي بسبب وحود تعدد الوجباء وفوت التوحيد يقينا.

والقول بأن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإن كانا ضدين حقيقيين في غير الواجب رغم أن وجودهما ليس غير واجب – ففيه سفسطة محضة، لأنه إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر، فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد في زمن واحد من جهة واحدة، سواء كان ذلك الأمر واجبا أو غير واجب، كيف وإن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، وثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، فالواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأسا، وإن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمع هذه الآحاد الثلاثة لزم كون الجزء كلا واحدا، والكل جزءا، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضًا مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرّا، وكون الشيء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا. وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة.(49)

وقد رد رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) على عقيدة النصارى في التثليث بالبراهين العقلية، منها:

1. إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم (الثلاثة) فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون، وفعلى الشق الأول لا يكون جميع صفات

الكمال مشتركا للامتياز بينهم، وهو خلاف ما تقرر عندهم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به موصوف بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله تعالى عنه.

2. الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي إذا كان حقيقيا لكان أقنوم الابن محدودا متناهيا، وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنا، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان كذلك فهو محدث، فليزم أن يكون أقنوم الابن محدثا، ويستلزم حدوثه حدوث الله باتحاد الأقانيم الثلاثة الموحدة.

3. ولو كان الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي، وجب أن يكون المميز غير الوجوب الذاتي، لأنه مشترك بين الأقانيم الثلاثة، وما به الاشتراك، غير ما به الامتياز، فيكون كل واحد منهم مركبا من جزئين، وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل أقنوم منها ممكنا لذاته، والله هي واجب الوجود بذاته، وليس ممكنا لذاته.

4. مذهب اليعقوبية باطل صريح، لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث، والمجرد بالمادي، وأما مذهب غيرهم فيقال في إبطاله: إن هذا الاتحاد إما بالحلول أو بغيره، فإن كان بالحلول، فهو باطل من عدة وجوه، منها:

- أن يكون الحلول كحلول ماء الورد في الورد، أو كحلول الدهن في السمسم أو كالنار في الفحم، وهذا باطل، لأنه إنما يصح لو كان أقنوم الابن جسما، وهم يوافقوننا على أنه ليس بجسم، وإما أن يكون الحلول كحلول اللون في الجسم، وهذا أيضًا باطل، لأن أن المعقول من هذه التبعية هو أن وجود اللون في الحيز هو وجود محله في الحيز، وهذا أيضًا يتطلب الأجسام وأن يكون ذلك الحلول كوجود الصفات الإضافية لهويات الذوات، وهذا أيضًا باطل، لأن المعقول من هذه التبعية هو الاحتياج أو الافتقار، فلو ثبت حلول أقنوم الابن بهذا المعني في شيء كان محتاجا، وإذا كان محتاجا إلى غيره كان ممكنا، فكان مفتقرا إلى المؤثر، وذلك محال، وإذا ثبت بطلان جميع التقارير امتنع إثبات دعوى الحلول.

- ولأن أقنوم الابن إذا حل في جسم عيسى (عليه السلام) فلا يخلو من أن يكون باقيا في ذات الله أيضًا، أو لا يكون، فإن كان باقيا في ذات الله أيضًا، لزم أن يوجد الحال الشخصي في محلين، وإن لم يكن باقيا في ذات الله، لزم أن يكون ذات الله خالية عنه، فينتفي الاتحاد، لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل، وإن كان ذلك الاتحاد بدون حلول لقلنا إن أقنوم الابن إذا اتحد بالمسيح (عليه السلام)، فهما في حال الاتحاد إن كانا موجودين، فهما اثنان، لا واحد.

5. بطلان عقيدة التثليث بأقوال المسيح (عليه السلام)

وبعد هذه الأدلة العقلية حاول الشيخ رحمة الله محاولة جادة أن يقدم براهين نقلية ساطعة من أقوال المسيح نفسه كما يأتي:

القول الأول:

مذكور في الآية الثالثة من الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فبين عيسى (عليه السلام) أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى (عليه السلام) رسوله.

فلم يقل عيسى (عليه السلام): "إن الحياة الأبدية هي أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي، وأن عيسى إنسان وإله، أو أن عيسى إله مجسم".

فلو كان الاعتقاد بالتثليث مدار النجاة لبينه عيسى (عليه السلام) بدون أدنى خوف من اليهود. فثبت أن الحياة الأبدية عبارة عن الاعتقاد بالتوحيد الحقيقي لله، والاعتقاد برسالة المسيح، وضدهما يعتبر موتا أبديا وضلالا بينا البتة. فالتوحيد الحقيقي ضد للتثليث الحقيقي، وكون المسيح رسولا ضد لكونه إلها، لأن التغاير بين المرسل والمرسل ضروري.

والقول الثاني:

مذكور في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس: (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله: أية وصية هي أول الكل؟) فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) و(تحب الرب إلهك من كل قبلك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى، والثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين) فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت، لأنه (أي الله) واحد وليس آخر سواه)، ومحبته من كل القلب ومن كل فهم ومن كل النفس ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح) (فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيدا عن ملكوت الله).

وبعد بيان الوصيتين المذكورتين ورد في قوله (عليه السلام) في إنجيل متى: (بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس والأنبياء) فعلم من "هاتين الوصيتين يتعلق الناموس والأنبياء" أن أول الوصايا الذي هو مصرح به في التوراة وجميع كتب الأنبياء هو الحق، وهو سبب قرب الملكوت، أن يعتقد أن الله واحد ولا إله غيره.

فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبينا في التوراة وجميع كتب الأنبياء، لأنه أول الوصايا، ولقال عيسى (عليه السلام): أول الوصايا الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي، لكنه لم يبين في كتاب من كتب الأنبياء صراحةن ولم يبين مدار النجاة. فثبت أن مدار النجاة هو اعتقاد التوحيد الحقيقي، لا اعتقاد التثليث، ثم أن الاعتقاد بالتثليث لو كان له أدنى صلة بالنجاة لبينه الأنبياء من بني إسرائيل بيانا واضحا، كما بينوا التوحيد في الباب الرابع من كتاب الاستثناء/ 35: (لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره) والاستثناء/ 39: (فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره).

وفي الكتاب السادس من السفر المذكور/ 4: (اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا فانه رب واحد) ومن السفر المذكور/ 5: (حب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك).

وفي الباب الخامس والأربعين من كتاب أشعياء/ 5: (أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله شددتك ولم تعرفني) ومن كتاب أشعياء/ 6: (ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر).

فالواجب على أهل المشرق والمغرب أن يعلموا أن لا إله إلا الله وحده، لا أن يعلموا أن الله ثالث ثلاثة. وفي الآية التاسعة من الباب السادس والأربعين من كتاب أشعياء : (إني أنا الله وليس غيري إلها وليس لي شبه).

والقول الثالث:

هذا القول مذكور في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من إنجيل مرقس: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب) وهذا القول يدل على بطلان التثليث، لأن المسيح (عليه السلام) خصص علم القيامة بالله، ونفي عن نفسه كما نفي عن عباد الله الآخرين، وسوى بينه وبينهم في هذا، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلها سيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله، وفرضنا اتحادهما بالمسيح، وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول أو بالانقلاب ولما لم يكن العلم (بالقيامة) من صفات الجسد، فلا يجري فيه العذر المشهور أنه نفي عن نفسه باعتبار جسميته، فظهر أنه ليس إلها لا باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها.

والقول الرابع:

مذكور في الباب التاسع عشر من إنجيل متى هكذا: (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية)، (فقال له لماذا تدعوني صالحا، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) فهذا القول يقلع أهل التثليث، لأنه لم يرض تواضعا أن يطلق عليه

لفظ الصالح أيضًا، ولو كان إلها فما معنى قوله: (لا تدعوني صالحا)؟ ولو كان إلها كان عليه أن يبين ويقول: لاصالح إلا الأب وأنا وروح القدس. فإذا لم يرض المسيح (عليه السلام) بقول السائل: "الصالح" لنفسه، فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في صلواتهم (يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيدك) حاشا جنابه أن يرضى بها.

والقول الخامس:

مذكور في الباب السابع والعشرين من إنجيل متى/ 46 هكذا: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني أى إلهي إلهي لماذا تركتني) متى/ 50: (فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح) وفي الآية السادسة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من إنجيل لوقا هكذا: (ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك استودع روحي) وهكذا القول ينفي ألوهية المسيح رأسا، سيما على مذهب القائلين بالحلول أو بالانقلاب، لأنه لو كان إلها لما استغاث بإله آخر بقوله: إلهي إلهي لماذا تركتني، ولما قال: يا أبتاه في يديك استودع روحي، وذلك لامتناع العجز والموت عليه.. الآية الثامنة والعشرون من الباب الأربعين من كتاب أشعياء، هكذا: (أ ما عرفت أو ما سمعت إله سرمدى الرب الذي خلق أطراف الأرض لن يضعف ولن يتعب وليس فحصا عن حكمته) والآية السادسة من الباب الرابع والأربعين من الكتاب المذكور: (هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود أنا الأول وأنا الآخر وليس إله غيري) والآية العاشرة من الباب العاشر من كتاب أرسياء هكذا: (أما الرب هو إله حق هو إله حي وملك سرمدي) إلخ.. وفي الآية الثانية عشر من الباب الأول من كتاب حقوق هكذا: (يا رب إله قدوسي ولا تموت) وفي الآية السابعة عشرة من الباب الأول من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس هكذا: (وملك الدهور الذي لا يفني لا يرى الإله الحكيم وحده).

فكيف يعجز ويموت الذي هو إله سرمدي برئ من الضعف والتعب، حي قدوس لا يموت ولا إله غيره، أيكون الفاني العاجز إلها؟ حاشا وكلا، بل الإله الحقيقي هو الذي كان عيسى (عليه السلام) يستغيث به هذا الوقت على زعمهم.

والعجب أن أهل التثليث لا يكتفون بموت الإله، بل يعتقدون أنه بعد ما مات دخل جهنم أيضًا. نقل جواد بن ساباط هذه العقيدة من كتاب الصلاة المطبوع سنة 1506م هكذا: "كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن، فكذا لابد أن نعتقد أنه دخل جهنم" انتهى...(50)

كما كتب (فيلبس كواد نولس) الراهب في كتابه المسمى (خيالات فيلبس) ردا على رسالة أحمد الشريف بن زين العابدين الأصفهاني، بهذه الكلمات: (الذي تألم لخلاصنا وهبط إلى الجحيم ثم في اليوم الثالث قام من بين الأموات) انتهى. (وقد حصل الشيخ رحمة الله على نسخة قديمة لهذا الكتاب المطبوع سنة 1669م في الرومية الكبرى في بسلوقيت استعارة من دار الكتب الإنجليزية في دلهي).

وكما ورد في "عبادة" "بريئر بوك" في بيان عقيدة أتهانييش التي يؤمن بها المسيحيون لفظ (Hell) ومعناه الجحيم. وقال جواد بن ساباط إن القسيس (مارطيروس) قال لي في توجيه هذه العقيدة: "إن المسيح لما قبل الجسم الإنساني، فكان لا بد من أن يتحمل جميع العوارض الإنسانية، فدخل جهنم وعذب أيضًا، ولما خرج من جهنم أخرج منها كل من كان معذبا فيها قبل دخوله". فسألته هل (عندكم) دليل نقلي لهذه العقيدة، قال إنها لا تحتاج إلى دليل، فقال رجل مسيحي من أهل ذلك الحفل على وجه الطرافة إن الأب كان قاسي القلب وإلا لما ترك الابن في الجحيم، فغضب القسيس، وطرده من الحفل، فجاءني هذا الرجل وأسلم بعد أن أخذ مني العهد بألا أظهر حال إسلامه مادام حيا.

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي قول بعض القساوسة المعروفين: "نعم دخل المسيح الجحيم وعذب، ولكن لا بأس فيه لأن هذا الدخول كان لنجاة أمته". ثم ذكر الشيخ رحمة الله الهندي عقيدة فرقة (مارسيوني) التي تعتقد أن عيسى (عليه السلام) بعد ما مات دخل جهنم، ونجى أرواح قابيل وأهل سدوم لأنهم حضروا عنده، وكانوا غير مطيعين لإله خالق الشر، وأبقى أرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصلحاء الآخرين من القدماء في جهنم، لأنهم

خالفوا الفرقة الأولى"(وهذه الفرقة كانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصرا في الإله الذي أرسل عيسى، ولذلك ما كانت تسلم كون كتب العهد العتيق إلهامية)... انتهى.

فكانت عقيدة هذه الفرقة مشتملة على ما يلي:

1. جميع الأرواح سواء كانت أرواح الأنبياء والصلحاء أو الأشقياء كانت معذبة في جهنم قبل دخول عيسى (عليه السلام).

2. أن عيسى (عليه السلام) دخل جهنم.

3. أن عيسى (عليه السلام) نجى أرواح الأشقياء من العذاب وأبقى أرواح الأنبياء والصلحاء فيه.

4. أن هؤلاء الصلحاء مخالفون لعيسى، والأشقياء موافقون له.

5. أن خالق العالم إلهان خالق الخير وخالق الشر، وعيسى (عليه السلام) رسول أول، والأنبياء الآخرون المشهورون هم رسل ثوان.

فكتب العهد العتيق ليست إلهامية.(51)

وقال صاحب "ميزان الحق" في كتابه المسمي ب(حل الإشكال في جواب كشف الأستار) هكذا: (الحق أنه توجد في العقيدة المسيحية أن المسيح دخل جهنم وقام في اليوم الثالث، وعرج إلى السماء، لكن المراد ههنا من جهنم "هاؤس" (House) وهو موضع ما بين جهنم والفلك الأصلي، والمعنى أنه دخل "هاؤس" ليرى أهله جلاله، وينبههم على أني مالك الحياة وأني أعطيت كفارة الذنب بالموت الصليبي، وجعلت الشيطان وجهنم مغلوبين وللمؤمنين كالمعدومين) انتهى ملخصا.

فرد عليه الشيخ رحمة الله الهندي بما يلي:

"أقول: أولا قد ثبت من ظاهر كتاب الصلاة وكلام (فيلبس كوادلونس) ومن إقرار (مارطيروس) و(يوسف ولف) ومن عقيدة (أتهاني سيش) أن (لفظ) "جهنم" على معناه، وأنه من العقيدة (المسيحية) ولكن هذه العقيدة لا تكون مقبولة بدون دليل من الكتب المقدسة لديهم يدل على أن هناك ما بين جهنم والفلك الأصلي مكان يسمى ب"هاؤس"

(House) وأن دخول المسيح في جهنم كان من أجل الإراءة والتنبيه المذكورين على أنه لا وجود للأفلاك عند حكماء أوربا، وعلماء بروتستنت من المتأخرين الذين يتابعونهم في هذا رأي، فكيف يصح هذا التوجيه على زعمهم.

ثم أقول: ثانيا إن هذا ال"هاؤس" محل السرور والثواب أو محل المحن والعقاب، فإن كان الأول، فلا حاجة إلى تنبيه أهله، لأنهم كانوا في سرور وعيشة راضية من الأول، وإن كان الثاني فلا فائدة من التأويل، لأن جهنم الأرواح لا يكون إلا محل عذابها.

ثم أقول: ثالثاً إن كون الموت الصليبي كفارة الذنب غير معقول يقينا، لأن المراد بهذا الذنب على زعمهم (الخطيئة الأولى) الذنب الأصلي الذي صدر عن آدم (عليه السلام)، لا الذنب الذي يصدر عن أولاده، ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الأصلي، لأن الأنبياء لا يؤاخذون بذنوب الآباء، ولا بالعكس، بل هو خلاف العدل.. (لأنه ذكر في) الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا: (النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه).

ثم أقول: رابعاً ما معنى جعل الشيطان مغلوبا بالموت؟ لأنه على حكم إنجيلهم مقيد بقيود أبدية قبل ميلاد عيسى (عليه السلام) (كما هو مذكور في) الآية السادسة من رسالة يهودا هكذا: (والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام). ثم العجب أنهم لا يكتفون بموت إلههم المزعوم ودخوله جهنم، بل يزيدون عليهما أنه صار ملعونا أيضًا والعياذ بالله وملعونيته مسلمة عند المسيحيين، ويسلمها صاحب كتاب (ميزان الحق) أيضًا بكمال رضا الخاطر، ويصرح بها في كتبه، وصرح بها مقدسهم بولس أيضًا (كما وردفي) الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة) وعندنا إطلاق مثل هذا اللفظ شنيع جدا، بل لاعن الله

واجب الرجم بحكم التوراة، ورجم شخص على هذا الخطأ في عهد موسى (عليه السلام) كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر الأخبار، بل لاعن الأبوين أيضًا واجب القتل فضلا عن لاعن الله كما هو مصرح به في الباب العشرين من السفر المذكور.

والقول السادس:

في الآية السابعة عشرة من الباب العشرين من إنجيل يوحنا ورد قول المسيح (عليه السلام) في خطاب مريم المجدلية هكذا: (لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) فسوى بينه وبين الناس في هذا القول: (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) كيلا يتقولوا عليه الباطل، فيقولوا إنه إله أو ابن إله، فكما أن تلاميذه عباد الله، وليسوا بأبناء الله حقيقة، بل بالمعنى المجازي، فكذلك هو عبد الله وليس بابن الله حقيقة.

ولما كان هذا القول بعد ما قام عيسى (عليه السلام) من الأموات على زعمهم – قبل العروج بقليل، ثبت أنه كان يصرح بأني عبد الله إلى زمان العروج. وهذا القول يطابق ما حكي الله عنه في القرآن المجيد: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم).

والقول السابع:

وفي الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا ورد قول المسيح (عليه السلام) هكذا: (إن أبي أعظم مني) ففيه أيضًا نفي لألوهيته، لأن الله ليس كمثله شيء، فضلاً عن أن يكون أعظم منه.

والقول الثامن:

في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا ورد قول المسيح (عليه السلام) هكذا: (الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني) ففيه أيضًا تصريح بالرسالة، وبأن الكلام الذي تسمعونه وحي من جانب الله.

والقول التاسع:

في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متى: 9-10 ورد قول المسيح (عليه السلام) في خطاب تلاميذه هكذا: (ولا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات)، (ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح)، فهنا أيضًا صرح (بأن الله واحد وإني معلم لكم).

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي أدلة أخرى من النصوص القطعية المنقولة من الأناجيل تدل على عبودية المسيح ونفي ألوهيته، ثم قال: ولما جاء جنابه الشريف إلى العالم وتجسد ليخلص العالم بدمه الكريم من عذاب الجحيم، فما معنى الحزن والاكتئاب وما معنى هذا الدعاء: "بأن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس".

ومن تلك الأدلة أنه (عليه السلام) كان من عادته الشريفة إذا عبر عن نفسه كان يعبر بابن الإنسان غالبا كما لا يخفي على ناظر هذا الإنجيل المروج أيضًا من إنجيل متى وغيره. ومن البديهي أن ابن الإنسان لا يكون إلا إنسانا.

وقال الشيخ رحمة الله الهندي في الفصل الثالث من كتابه "إظهار الحق" في الرد على أهل التثليث: "فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالبا مجملة ومنقولة من إنجيل يوحنا، وهي على ثلاثة أقسام:

1. بعضها لا يدل على مقصودهم بحسب معانيها الحقيقية، فاستنباط الألوهية منها قائم على مجرد زعمهم، وهذا الاستنباط والزعم لا يعتد بهما ولا يصح الاعتقاد بهما في حالة وجود البراهين العقلية والنصوص القطعية ضدهما.
2. وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى، ومن بعض النصوص الواردة في الأناجيل، فلا اعتبار لرأيهم فيها.
3. وبعضها أقوال يجب تأويلها عندنا وعندهم أيضًا، فإذا وجب التأويل لقلنا: لابد من أن لايخالف هذا التأويل البراهين والنصوص، وأنى لهم ذلك.

فلا حاجة إلى نقل الكل، بل يكفينا نقل الأكثر ليتضح منه للناظر حال استدلالهم، وليقيس الباقي عليه.

الأول يتعلق بإطلاق لفظ "ابن الله" على المسيح (عليه السلام)، والدليل على ذلك في غاية الضعف بوجهين. أما الوجه الأول، فلأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان، وبإطلاق ابن داود، فلا بد من التطبيق بحيث لا يثبت مخالفة البراهين العقلية، ولا يلزم منه محال. وأما الوجه الثاني، فلأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي، لأن معناه الحقيقي في لغات العالم بالاتفاق هو ما يتولد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا، لأن المسيح كان قد تولد من غير أب، فلا بد من أن يكون لفظ (الابن) محمولا على المعني المجازي المناسب لشأن المسيح (عليه السلام). وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح، كما ذكر في الآية التاسعة والثلاثين من الباب الخامس عشر من إنجيل مرقس هكذا: (ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرح هكذا وأسلم الروح، قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله). ونقل لوقا قول القائد في الآية السابعة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من إنجيله هكذا: (بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا) ففي إنجيل مرقس استخدم لفظ ابن الله، وفي إنجيل لوقا لفظ البار بدلا من ابن الله، واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح أيضًا، كما استعمل اللفظ ابن إبليس في حق الصالح في الباب الخامس من إنجيل متى هكذا: (و) (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) 44 (وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لأعينكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسبونكم) 45 (لكي تكون أبناء أبيكم الذي في السماوات) فأطلق عيسى (عليه السلام) على صانعي السلام والصلح وعلى العاملين بالأعمال المذكورة لفظ أبناء الله، وأطلق على الله لفظ الأب بالنسبة إليهم، وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنا ورد في المكالمة التي جرت بين اليهود والمسيح هكذا: 41 (أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له إننا لم نولد من زنا، لنا أب واحد وهو الله) 42 (فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني) إلخ.. 44 (أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعلموا ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق، لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذب وأبو الكذب).

فاليهود ادعوا أن لنا أبا واحدا وهو الله، وقال المسيح (عليه السلام): لا بل أبوكم الشيطان، وظاهر أن الله والشيطان ليس أبا لهم بالمعنى الحقيقي، فلا بد من أن يكون اللفظ محمولا على المعني المجازي، فغرض اليهود هو إننا نحن صالحون ومطيعون لأمر الله، وغرض المسيح (عليه السلام) هو إنكم لستم كذلك بل أنتم صالحون مطيعون للشيطان.

وجاء في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا: 9 (كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة، لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله) و(بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس... إلخ) وجاء في الآية السابعة من الرسالة المذكورة (وكل من يحب فقد ولد من الله) وجاء في الباب الخامس من الرسالة المذكورة (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضًا) 2: (بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه) وذكر في الآية الرابعة عشرة من الباب الثامن من الرسالة الرومية هكذا: (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله) وفي الباب الثاني من رسالة بولس إلى أهل فيلبس هكذا 14: (افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة) 15: (لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب).

وبعد أن درس الشيخ رحمة الله الهندي هذه النصوص من الكتب المقدسة عندهم صرح بأن دلالة هذه الأقوال غير خفية، وإذا لم يفهم من إطلاق لفظ الله ومثله معنى الألوهية، فكيف يفهم من لفظ ابن الله ومثله معنى الألوهية، سيما إذا لاحظنا كثرة وقوع المجاز في كتب العهد العتيق والجديد، وخاصة إذا لاحظنا أن استعمال "الأب" و"الابن" في كتب العهدين ورد في مواضع غير محصورة منها.

6. لفظ الأب والابن في كتب العهد العتيق والعهد الجديد

قال لوقا في الباب الثالث من إنجيله في بيان نسب المسيح (عليه السلام): (أنه ابن يوسف وآدم ابن الله) وظاهر أن آدم (عليه السلام) ليس ابنا لله بالمعنى الحقيقي، ولا إلها، ولكن لما

ولد بلا أبوين نسبه إلى الله، وقد أجاد لوقا ههنا، لأنه نسب المسيح (عليه السلام) إلى يوسف النجار بكونه مولودا بلا أب فقط، ونسب آدم (عليه السلام) إلى الله، بكونه مولودا بلا أبوين.

وورد قول داود (عليه السلام) في خطاب الله في الزبور الثامن والثمانين هكذا: 9: (حينئذ كلمت نبيك بالوحي وقلت إني وضعت عونا على القوي ورفعت منتخبا من شعبي)، 20: (وجدت داود عبدي فمسحته بدهن قدسي)، 26: (هو يدعونني أنت أبي وإلهي وناصر خلاصي)، 27: (وأنا أيضًا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الأرض) فأطلق على الله لفظ "الأب" وعلى داود لفظ القوى والمنتخب والمسيح وابن الله البكر وأعلى من كل ملوك الأرض.

وورد قول الله في الآية التاسعة من الباب الحادي والثلاثين من كتاب أرساء هكذا: (إني صرت أبا لإسرائيل وأفرام هو بكرى) فأطلق على "أفرام" لفظ ابن الله البكر، فلو كان إطلاق مثل هذه الألفاظ موجبا للألوهية لكان كل من إسرائيل وداود وأفرام يستحق بالألوهية، لأن الابن البكر أحق بالإكرام من غيره بحسب الشرائع السابقة وبحسب الزواج العام أيضًا، وإذا قالوا جاء في حق عيسى (عليه السلام) لفظ الابن الوحيد، قلنا إن الوحيد لا يمكن أن يكون بمعناه الحقيقي، لأن الله أثبت له إخوة كثيرين، وقال في حق الثلاثة منهم لفظ الابن البكر، بل لا بد من أن يكون بمعناه المجازي مثل "الابن".

وورد قول الله تعالى في حق سليمان (عليه السلام) في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني هكذا: (وأنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا) فلو كان إطلاق هذا اللفظ سببا للألوهية لكان سليمان (عليه السلام) أحق من المسيح (عليه السلام) لسبقه وكونه من آباء المسيح (عليه السلام).

وكذلك جاء إطلاق أبناء الله على جميع بني إسرائيل في الآية الأولى من الباب الرابع عشر، والآية التاسعة عشرة من الباب الثاني والثلاثين من كتاب الاستثناء، والآية الثانية من

الباب الأول،والآية الأولى من الباب الثلاثين، والآية الثامنة من الباب الثالث والستين من كتاب أشعيا، والآية العاشرة من الباب الأول من كتاب هوشع...

فقد اتضح أنه جاء إطلاق أبناء الله على الصالحين، وعلى المؤمنين بالمسيح، وعلى المحبين، وعلى المطيعين لأمر الله، وعلى العاملين بالأعمال الحسنة.

وكذلك أطلق في مواضع كثيرة من الإنجيل لفظ "أبيكم" على الله في خطاب التلاميذ وغيرهم.

وقد يطلق لفظ الابن والأب على شيء له صلة ما أو مناسبة ما بمعناهما الحقيقي كإطلاق "أبي الكذب على الشيطان" وكإطلاق "أبناء جهنم وأولاد أورشليم على اليهود" في كلام المسيح (عليه السلام) في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متى، كما جاء إطلاق أبناء الدهر على أهل الدنيا، وإطلاق أبناء الله وأبناء القيامة على أهل الجنة في قول المسيح (عليه السلام) في الباب العشرين من إنجيل لوقا وفي الآية الخامسة من الباب الخامس من الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيقي جاء إطلاق أبناء النور وأبناء النهار على أهل تسالونيقي. وكذلك ورد في الآية الثالثة والعشرين من الباب الثامن من إنجيل يوحنا هكذا: (فقال لهم أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم) ففهم النصارى من قول المسيح (عليه السلام) في هذه الآية إنه إله نزل من السماء وتجسم.

فللرد على هذا الفهم القاصر وبالتالي الاستدلال الخاطئ نقتبس بعض المقتطفات من كتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمة الله الهندي الذي يقول: "لما كان هذا القول مخالفا للظاهر، لأن عيسى (عليه السلام) كان من هذا العالم، أوَّلَ (النصارى) بهذا التأويل (يعني أنه إله نزل من السماء وتجسم) وهذا التأويل غير صحيح بوجهين:

الأول: إنه مخالف للبراهين العقلية والنصوص الواردة في الكتب المقدسة عندهم.

الثاني: إن عيسى (عليه السلام) قال مثل هذا الكلام في حق تلاميذ أيضًا. كما ورد في الباب السابع من إنجيل يوحنا هكذا 14: (لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم) 16: (ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم) فقال في حق تلاميذه: إنهم

ليسوا من العالم، وسوى بينه وبينهم في التعبير عن عدم صلتهم وصلته بهذا العالم، فلو كان قوله هذا مستلزما للألوهية -كما زعموا- لزم أن يكون كلهم آلهة والعياذ بالله.

بل التأويل الصحيح لقوله: "أنتم طالبو الدنيا الدنيئة وأنا لست كذلك، بل طالب الآخرة ورضاء الله وهذا المجاز شائع في الألسنة، فيقال للزهاد والصلحاء إنهم ليسوا من الدنيا.

وكذلك ورد في الآية الثلاثين من الباب العاشر من إنجيل يوحنا هكذا: (أنا والأب واحد) فاستدل النصارى بقوله هذا على "أنه يدل على اتحاد المسيح بالله".

وهذا الاستدلال غير صحيح بوجهين:

الأول: إن المسيح (عليه السلام) عندهم أيضًا إنسان ذو نفس ناطقة، ولا يمكن أن يكون متحدا بكونه إنسانا. فكانوا في حاجة إلى التأويل، فألوا وقالوا: كما أنه إنسان كامل فكذلك إله كامل، فبالاعتبار الأول مغاير، وبالاعتبار الثاني متحد. وهذا التأويل باطل بسبب وجود مغايرة بين الإنسان والإله المعبود، لأن الأول ممكن الوجود لذاته، والثاني واجب الوجود بذاته.

الثاني: إن مثل التساوي ورد في شأن الحواريين في الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا 21: (ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب فِيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحدا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني) و22: (وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد) والآية 33: (أنا فيهم وأنت فِيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد).

فقول عيسى (عليه السلام): "ليكون الجميع واحداً"، وقوله: "ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" وكذلك قوله: "يكونوا مكملين إلى واحد، يدل على اتحادهم، وسوى في القول الثاني بين اتحاده بالله وبين اتحاده فيما بينهم. وواضح أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقيا، فكذا اتحاده بالله، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه، والقيام بالأعمال الصالحة، فمن هذه الناحية المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان بالله متساوون.

وإنما الفرق بينهم باعتبار القوة والضعف، فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره. فمعنى الاتحاد هنا هو التساوي في إطاعة الشرع الإلهي.

والدليل على أن الاتحاد هنا عبارة عن هذا المعني قول يوحنا في الباب الأول من رسالته الأولى، وهو هكذا الآية 5: (وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور، وليس فيه ظلمة ألبتة) والآية 6: (إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الطلمة نكذب ولسنا نعمل الحق). والآية 7: (ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض).

فاتضح من هذه الآيات أن الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عما ذكرناه، وهو إيمان الجميع بالله ورسالته والقيام بالأعمال الصالحة.

وكذلك ورد في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا الآية 9: (الذي رأني فقد رآى الأب، فكيف تقول أنت أرنا الأب) والآية 10: (ألست تؤمن أني أنا في الأب، والأب فِيَّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال فِيَّ هو يعمل الأعمال).

فقوله: "الذي رآني فقد رآى الأب" وقوله: "أنا في الأب والأب فِيَّ"، وقوله: "الأب الحال فِيَّ" فإذا فُهِمَ من استدلال هذه الأقوال أنها تدل على اتحاد المسيح بالله، لقلنا هذا الاستدلال ضعيف بوجهين.

الأول: فلأن رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم، فيؤلونها بالمعرفة، ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية أيضًا لا تفيد الاتحاد، فيقولون إن المراد بالمعرفة باعتبار الألوهية، والحلول الذي وقع في القول الثاني والثالث واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث، فيقولون إن المراد به الاتحاد الباطني.

فبعد هذه التأويلات يقولون إنه لما كان إنسانا كاملا، وإلها عاملا، صح أقواله الثلاثة بالاعتبار الثاني. وهذا باطل، لأن التأويل يجب ألا يخالف البراهين والنصوص.

وأما **الثاني**، فلأن الآية العشرين من الباب المذكور هكذا: (في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فِيّ وأني فيكم) فقد سبق قول المسيح في حق الحواريين: (أنا فيهم وأنت فِيّ) دليل على أن حال الحال حال في محل الحال بداهة.

والآية التاسعة عشرة من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى أهل قورنيثوس هكذا: (أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله وأنتم لستم لأنفسكم).

والآية السادسة عشرة من الباب السادس من الرسالة الثانية إلى (قورنيثوس) هكذا: (وآية موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم أنتم هيكل الله الحي) إلخ..

والآية السادسة من الباب الرابع من الرسالة إلى أهل أفسس هكذا: (إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل).

فلو كان الحلول مشعرا بالاتحاد ومثبتا للألوهية لزم أن يكون الحواريون، بل جميع أهل قورنيثوس، وكذا جميع أهل أفسس آلهة. ولكن الأمر ليس كذلك، بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى، كأنه رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبا من أقربائه. فالأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها، ينسب إلى الأعلى مجازا. ولذلك قال المسيح (عليه السلام) في حق الحواريين: (من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني) كما ذكر في الآية الأربعين من الباب العاشر من إنجيل متى. وقال في حق الولد الصغير: (من قبل هذا الولد باسمي يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني) كما ذكر صراحة في الآية الثامنة والأربعين من الباب التاسع من إنجيل لوقا. وقال في حق السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين إلى البلاد: (الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذبني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني) كما ورد في الآية السادسة عشرة في الباب العاشر من إنجيل لوقا..

وكذلك ذكر في القرآن المجيد: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم).

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله. وأما حلول الغير في الله أو حلول الله في غيره، وكذلك حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه، فعبارة عن إطاعة أمرهما، وهذا ما يطابق ما ذكر في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا: (من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا) ولكن الروح هو دين الله القيم.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: إن النصارى "قد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته، فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جدا، لأن العالم حادث بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم، خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم، فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقا بلا أب، ويفوق عليه في كونه بلا أم، وتتولد أنواع من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم، فكيف يكون هذا الأمر سببا للألوهية. ولو نظرنا إلى نوع الإنسان فآدم (عليه السلام) يفوق على عيسى بن مريم".

ويستدلون تارة بمعجزاته، وهذا أيضًا ضعيف، لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى -بصرف النظر عن ثبوته-

فيقول الشيخ رحمة الله ردا على هذا النوع من استدلالاتهم: إن عيسى (عليه السلام) -حسب ما ذكر في الأناجيل- ما أحيأ إلى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص -كما هو معلوم- وأحيا حزقيال (عليه السلام) ألوفا كما هو مصرح به في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون إلها، وأحيا إيلياء (عليه السلام) أيضًا ميتا كما هو مصرح به في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، وأحيا اليسع (عليه السلام) أيضًا ميتا كما هو مصرح به في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته، أن ميتا ألقى في قبره فحي بإذن الله كما هو مصرح به في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه، كما هو مصرح به في الباب الخامس من السفر المذكور.

وقد يتمسكون ببعض آيات كتب العهد العتيق، وببعض أقوال الحواريين للاستدلال على ألوهية المسيح (عليه السلام). (الشيخ رحمة الله الهندى. كتاب إظهار الحق. ص: 13-23) فقد جمع الشيخ رحمة الله الهندي دعاويهم ورد عليها ردًا علميًا مقنعًا في كتاب له بعنوان: (إزالة الأوهام) فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إليه.

فلا شك أن عقيدة التثليث أو الثالوث المقدس لا تثبت من الأناجيل المقدسة لدى النصارى وإنما هي نتيجة لسوء فهمهم الآيات الواردة في الأناجيل، واستدلالاتهم الخاطئة، وبالتأكيد إذا كان الفساد في المقدمات فسدت نتائجها. ولا شك كتاباتهم ورسائلهم ليست بالإلهام، وقد وردت فيها كثير من الأخطاء والاختلافات والتناقضات باليقين التام، ثم أقوال **بولس** لا أساس لها من الصحة، ولا اعتبار لها ولصاحبها من حيث الثقة، فهو غير مسلم عندنا، لأنه ليس من الحواريين، -كما سنرى بعد قليل- وإنما نقلنا أقوال الديانة المسيحية بتأويلها لأجل إتمام الإلزام وإثبات الحجة بأن تمسكهم بها ضعيف، وكذلك تمسكهم بأقوال الحواريين، وذلك على تقدير تسليمهم أنها أقوالهم، ولا يثبت عندنا أنها أقوال المسيح (عليه السلام) والحواريين، وذلك بفقدان إسناد هذه الكتب، وبوقوعها عرضة للتحريف عموما، وفي مثل هذه المسألة (التثليث والاتحاد والتجسم) خصوصا. ولا شك أن المسيح والحواريين كانوا براء من هذه العقيدة الكفرية يقينا. فيجب أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وأن الحواريين رسل رسول أرسل إليهم من الله.

ومن المفيد أن نذكر هنا مناظرة جرت بين الإمام الفخر الرازي (رحمة الله) وبعض القساوسة بخوارزم للدلالة على بطلان دعاوي النصارى الخاصة بأن المسيح (عليه السلام) إله معبود أو بأنه ثالث ثلاثة. ها هو الحوار بالتفصيل على لسان الإمام الرازي نفسه، يقول:

"حين كنت بخوارزم أخبرت بأن نصرانيا قد جاء، ويدعى التحقيق والتعمق في النصرانية فذهبت إليه، وبدأ الكلام بيني وبينه كما يلي:

"فقال لي النصراني: ما الدليل على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؟"

قلت له: كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإن قبلناه أو رفضنا التواتر، ولكن إذا قلنا إن المعجزة لا تدل على الصدق، بطلت نبوة سائر الأنبياء (عليهم السلام)، وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق ثم إنهما حاصلان في حق محمد (صلى الله عليه وسلم)، وجب الاعتراف قطعا بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ضرورة، إذ عند الاستواء في الدليل لابد من الاستواء في حصول المدلول..

فقال النصراني: لا أقول في عيسى (عليه السلام) إنه كان نبيا، بل أقول إنه كان إلها.

فقلت له: الكلام في النبوة لابد، وأن يكون مسبوقا بمعرفة الإله، وهذا الكلام الذي تقوله باطل.

الدليل الأول

على بطلانه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب ألا يكون جسما ولا متحيزا ولا عرضا. وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوما، وقتل بعد أن كان حيا على قولكم، وكان طفلا أولا ثم صار مترعرعا، ثم صار شابا، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ. وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديما، والمحتاج لا يكون غنيا، والممكن لا يكون واجبا، والمتغير لا يكون دائما.

والدليل الثاني

على بطلانه أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيا على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد. فإن كان إلها أو كان الإله حالا فيه أو كان جزء من الإله حالا فيه، فَلِمَ لم يدفعهم عن نفسه؟ ولِمَ لم يهلكهم بالكلية؟ وأية حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم؟ وبالله إنني لأتعجب جدا أن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول، ويعتقد صحته. فتكاد أن تكون بداهة العقل شاهدة بفساده.

والدليل الثالث

على بطلانه أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكليته فيه، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه، والأقسام الثلاثة هذه باطلة:

أما الأول، فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم، فحين قتله اليهود، كان ذلك قولا بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله. ثم إن أشد الناس ذلا ودناءة اليهود، فالإله الذي قتله اليهود كان إلها في غاية العجز.

وأما الثاني فهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم، فهو أيضًا فاسد، لأن الإله إن لم يكن جسما، ولا عرضا امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسما فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله. وإن كان عرضا كان محتاجا إلى المحل، وكان الإله محتاجا إلى غيره. وكل ذلك سخيف.

وأما الدليل الثالث فهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضًا محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في الإلهية (ألوهية الإله) فعند انفصاله عن الإله وجب ألا يبقى الإله إلها، وإن لم يكن معتبرا في تحقيق الإلهية (ألوهية الإله) لم يكن جزءا من الإله. فثبت فساد هذه الأقسام الثلاثة، وثبت أن قول النصارى بألوهية عيسى (عليه السلام) باطل بالبداهة.

والدليل الرابع على بطلان قول النصارى ما ثبت بالتواتر من أن عيسى (عليه السلام) كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى، ولو كان إلها لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه."

فهذه أدلة في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم. ثم قلت للنصراني: وما الذي دلَّكَ على كونه (عليه السلام) إلها، فقال: الذي دل عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الإله تعالى.

فقلت له هل تسلم أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإن لم تسلم لزمك من نفي العالم في الأزل نفي الصانع. وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فأقول: لَمَّا جوزت حلول الإله في بدن عيسى (عليه السلام)، كيف عرفت أن الإله لم يحل بدني وبدنك وبدن كل حيوان ونبات وجماد. فقال: الفرق ظاهر، وذلك لأني إنما حكمت بذلك الحلول بناء على ظهور تلك الأفعال العجيبة عليه. والأفعال العجيبة لم تظهر على يدى ولا على يدك، فعلمنا أن ذلك الحلول مفقود ههنا.

فقلت له تبين الآن أنك لم تفهم معنى قولي إنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الإله في بدن عيسى (عليه السلام)، فعدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك لا يعني سوى أنه لم يوجد ذلك الدليل، فإذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وفي حقك، بل وفي حق الكلب والسنور والفأر، ثم قلت إن مذهبا يؤدي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة.

ثم إن قلب عصا حية أبعد في العقل من إعادة الحياة في جسم الميت، لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى (عليه السلام) إلها وابنا للإله وجب ألا يدل إحياء الموتى على الألوهية: ألوهية عيسى (عليه السلام) وكان ذلك أولى، وعند هذا انقطع النصراني ولم يبق له كلام (انظر: المجلد الثاني من تفسير الفجر الرازي تحت تفسير قوله تعالى: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم} من سورة (آل عمران).

7. عقيدة الصلب والفداء عند النصارى

والعقيدة الثانية للنصارى عقيدة قتل المسيح وصلبه، وهي أن اليهود علقوا المسيح (عليه السلام) على الصليب تنفيذا لحكم الإعدام بأمر "بنطيس بيلاطيس". وهكذا صلبوه وقتلوه.

وجدير بالذكر أن عملية الصلب كانت تتم بربط اليدين والرجلين بالصليب أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية.(52)

والفداء عند النصارى هو الخلاص من الموت الناتج عن الخطيئة التي دخلت إلى البشرية بآدم. (مبادئ العقائد المسيحية ص: 16) كما ورد في معجم اللاهوت الكتابي: (لقد مات يسوع مصلوبا فأصبح الصليب الذي كان أداة للفداء، والموت، والألم والدم، أحد الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا، لم يعد عارا بل أصبح مطلبا وعنوانا للمجد، للمسيح أولا ثم للمسيحيين من بعده).(53)

فيعتبر النصارى **الصليب** رمزا للإيمان عندهم ويفتخرون به، وذلك على الرغم مما أصاب المسيح من قبل من خزى وعار، أصبح الصليب موضع التقديس عند الأغلبية من النصارى، وعلامة أنهم من أتباع المسيح.

وجدير بالذكر أن المصلوب لم يكن أقنوم الابن (للاهوت) الذي هو إله عند النصارى، وإنما صلب المظهر الإنساني (للناسوت) الذي لم يكن إلها، بل كان مخلوقا.

وهذه العقيدة تعتبر من أهم الأسس التي تقوم عليها العقائد النصرانية، بل هي الأساس الذي تدور حوله هذه العقائد، فمسألة البنوة والتأليه في نظرهم علة لمسألة الصلب.(54)

ومسألة صلب المسيح (عليه السلام) مذكورة في الإناجيل الأربعة، ولكن القرآن الكريم قد رد عليها ردا قاطعا، يقول: (وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم).(55)

ولكن يجب أن نعلم كيف يشرح النصارى عقيدة الصلب والفداء هذه. فجاء شرح هذه العقيدة في دائرة المعارف البريطانية بهذه الكلمات:

"والمراد من الفداء في علم العقائد النصرانية فداء المسيح الذي يقرب العصاة فجأة إلى رحمة الله. وهذه العقيدة قائمة على أساسين افتراضيين:

- إن الإنسان كان قد أصبح محروما من رحمة الله بعد خطيئة آدم (عليه السلام).
- صفة كلام الله حلت جسد المسيح لتقريب الإنسان إلى رحمة الله مرة أخرى.

ثم ذكرت بعدهما افتراضات متسلسلة أخرى على أساس هذين الافتراضين الرئيسين:

أ. إن الله (سبحانه وتعالى) كان قد منح آدم (عليه السلام) النعم كلها وهو في الجنة، ولم يمنعه من أى شيء سوى ألا يقترب من الشجرة المحظورة. فكانت له حرية مطلقة للطاعة والعصيان في الجنة.

ب. ولكن آدم (عليه السلام) قد أساء إلى نفسه بممارسة تلك الحرية، وارتكب الخطيئة العظمى حين أكل من الشجرة المحرمة.

وكانت هذه الخطيئة عظيمة من حيث الكيف :(Quality) والكم: (Quantity)، لأن الطاعة كانت سهلة، حيث أنه كان يعيش بكل وسائل العيش المريح والمأكولات والمشروبات اللذيذة، وكان الابتعاد عن تلك الشجرة المحظورة أمرا هينا. ولم تكن فيه تلك الرغبات والشهوات التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب الآثام. وإذا كان تنفيذ الأوامر سهلا كانت عقوبة عصيانها شديدة جدا.

ثم أن هذه الخطيئة كانت أولى من نوعها في حياة الإنسان. فكما الطاعة تعتبر أساس الأعمال الصالحة كلها، العصيان أساس لجميع الآثام. فخطيئة آدم هي أساس كل إثم في حياة الإنسان.

ومن ناحية الكمية أيضًا هذه الخطيئة كانت عظيمة جدا، ثم ضمت إليها خطايا أخرى، والإنسان صار مجموعة من الخطايا والمعاصي، ولذلك قيل إن العصمة ليست لبني الإنسان.

كما يشرح (أغسطين) هذه العقيدة، ويكتب:

"إن تلك الخطيئة كانت تشمل عدة خطايا: التكبر وإساءة الأدب وعدم الإيمان بأمر الله والعصيان بما أمر، والقتل، لأن الإنسان قد جعل نفسه مستحقا للموت، والخيانة لأنه صدق بما سمع من الثعبان من كلمات مغرية مضللة، وخان الإخلاص لله سبحانه. والسرقة، لأنه تناول ما كان محرما عليه من الغذاء، والحرص، لأنه كان قد منح بجميع النعم فكان حريصا على حصول أكثر مما كان قد منح. فترتبت على خطيئة أدم عدة نتائج وهي:

1. "الموت الأبدي أو العذاب الدائم، لأن الله (سبحانه وتعالى) قال له حين أمره بعد الاقتراب من الشجرة المحظورة: "حين تأكل منها موتا تموت".(56)
2. سلبت منه حرية الإرادة المطلقة (Free Will)

والسؤال إذن لماذا ابتلى الإنسان بخطايا أخرى بدلا من عقوبة خطيئة واحدة، فرد على هذا السؤال (سانت تهامسان ايكوناس) وكتب:

"في الواقع عقوبة الخطيئة كانت هي أن الله (سبحانه وتعالى) أبعد الإنسان من رحمته، وهذه العقوبة كانت متوقعة، ولكن نتيجة لذلك ظهرت فيه غرائز لارتكاب خطايا أخرى. فخطايا الإنسان هي نتيجة الخطيئة الأولى:(57)

ثم كل من تولد أو سيتولد من صلب آدم، تنتقل إليه هذه الخطيئة الأصلية كما يكتب (آغسطائن):

فكل من جاء بعده كان يحمل بطبعه تلك الخطيئة الأولى، لأنه ولد من صلب آدم ومن بطن زوجته حواء التي كانت سببا لابتلاء آدم بتلك الخطيئة، والتي كانت شريكة في عقوبتها.(58)

فكل من يولد من بطن أمه يولد أثيما، لأنه يحمل إثم أبويه بغريزته. والسؤال إذن إن الوالدين إذا ارتكبا الخطيئة، فكيف يعتبر الولد أثيما، يرد على هذا السؤال (جان كالون):

"إذا قلتا إننا نستحق عقوبة إلهية بسبب خطيئة آدم ليس معناه إننا كنا معصومين. وخطيئة آدم فرضت علينا بدون أى تقصير، فلم نرث في الواقع عقوبة خطيئة آدم فحسب، وإنما أصابنا ذلك المرض وانتشر فينا كوباء من آدم، ومن أجل ذلك نحن نستحق عقوبة تلك الخطيئة، والطفل الرضيع حين يولد من بطن أمه يولد باستحقاق في العقوبة، وهذه العقوبة هي عقوبته هو بذلك النقص والقصور في طبعه.

ورد على هذا السؤال عالم وفيلسوف كاثوليكي (تمامس ايكوناس) أيضًا وقال:

"إن الخطيئة لوالدينا قد انتقلت إلينا أيضًا، لأن الروح هي التي ترتكب المعاصي والذنوب، ولكن الإثم ينتقل إلى أعضاء الجسد كله". (59)

فتلوث كل بني آدم بالخطيئة الأصلية، فالخطيئة الأصلية هي الأساس لكل الخطايا، فأصبح كل إنسان محروما من حرية إرادته ثم ارتكب خطيئة بعد خطيئة، فتثاقلت عليه أعباء الخطايا التي ارتكبها هو بنفسه علاوة تلك الخطيئة الأصلية التي ورثها من آبائه.

فكان كل بني آدم في عذاب دائم من أجل تلك الخطيئة، وكان محروما من قوة إرادته الحرة ولم يكن لغفرانه من سبيل، لأن النجاة من الآثام ليست ممكنة إلا بالعمل الصالح، والإنسان لم يكن قادرا على العمل الصالح بفقدان قوة إرادته الحرة.

فلم يكن السبيل سوى أن يغفر الله له ذنوبه برحمته الواسعة، وهذا أيضًا كان مستبعدا لأن الله تعالى عادل يحب العدل، وإنه لايخالف ما وعد به، والعقوبة كانت هي الموت أصلاً عند الله حسب ما ذكر في كتاب الخطيئة، فكان إعفاءه عن عقوبة الموت ينافي قانون عدله تعالى.(60)

ولكن الله تعالى رحيم، كان لايمكن أن يترك الإنسان في هذا العذاب الدائم...

فاختار طريقا لتكون رحمته عامة لجميع العباد ولا يتأثر عدله، وكانت العقوبة القانونية للخطيئة هي أن يموت الجميع من العباد مرة، ثم يقوم مرة أخرى، لتعود إلى الإنسان

في حياته الثانية قوة إرادته الحرة مرة أخرى، التي كانت قد سلبت من أجل الخطيئة الأصلية. ويخلص من عبأ الخطيئة الأصلية ويعمل أعمالا صالحة بحريته.(61)

ولكن عملية إحياء الإنسان بعد إماتته كانت تنافي قانون الطبيعة، فكانت الحاجة ماسة إلى أن يتحمل أحد عبأ خطايا الناس جميعا، وهو معصوم من الخطيئة الأصلية، ليميته الله مرة تنفيذا لعقوبة الخطيئة ثم يحييه، لتكون هذه العقوبة كافية للجميع، ويتحرر الناس جميعًا.

فاصطفي الله ابنه لهذا الغرض العظيم، وأرسله إلى دنيانا في جسم الإنسان، ليضحي نفسه لتكفير ذنوب الناس، فكانت عملية صلبه كفارة لذنوب الناس جميعا. وبتلك التضحية عفا الله عن خطايا الناس جميعا، سواء كانت صغيرة أو كبيرة. ثم قام ابنه من الأموات بعد ثلاثة أيام، ووجد الناس جميعا حياة جديدة، وهم يملكون قوة إرادتهم الحرة في حياتهم الجديدة هذه. فمن يعمل أعمالاً صالحة يكون له أجر حسب أعماله الصالحة، ومن يعمل السيئات يكون له عذاب حسب سيئاته. ولكن تضحية يسوع المسيح هذه تنفع من يؤمن به ويعمل حسب تعاليمه فقط.

8. عقيدة الاصطباغ: (Baptism)

الاصطباغ هو الغسل. فكل من يريد أن يدخل في دين المسيح يجب أن يغتسل أو يصطبغ. ومن غير هذا الاصطباغ لا يسمى أحد نصرانيا. ولهذه العادة أولية في الديانة النصرانية، وأساسها عقيدة الفداء أو الكفارة. فعقيدة النصارى هي أن الإنسان يموت من أجل المسيح مرة ثم يحيى مرة أخرى عن طريق هذا الاصطباغ. فبالموت يأخذ جزاء خطيئته الأصلية، ثم يحصل على قوة إرادته الحرة في حياته الثانية.

وكل من يريد أن يدخل في الديانة النصرانية يمر بمرحلة عبورية، يتعلم فيها تعاليم أساسية، فيسمى (كيت تشومينس) ولا يسمى نصرانيا، ولا يسمح له بأن يشترك في

رسومات العشاء الرباني، ثم يمر بعملية الاصطباغ، ولها موعد محدد، وهو قبيل عيد يسمى (بينتي كوست) أو قبيل احتفالات (ايستر).

وتكون غرفة معينة للاصطباغ في الكنيسة، ويكون لإتمام العملية رجال مأمورون، إنهم ينومنون الشخص الذي يرشح للاصطباغ في تلك الغرفة (Baptistry)، حيث يكون وجهه في اتجاه الغرب، فيبسط يديه ويقول: "أيها الشيطان أنا أتبرأ منك ومن كل عملك". ثم يتجه نحو الشرق ويعلن بإيمانه بعقائد النصرانية، ثم يأخذونه إلى غرفة داخلية، ويجردونه من جميع ملابسه، ويدهنون كل جسمه من الرأس إلى الرجل بدهن الميرون المقدس غالبا، ويصنع من القرنفل والقرفة والزعفران والعود الهندي، ويتولى الكهنة صناعة هذا الزيت ثم ينزلونه في حوض الاصطباغ. عندئذ يسأله المكلفون بعملية الاصطباغ هذه ثلاثة أسئلة، وهي:

هل أنه يؤمن بالأب والابن وروح القدس بجميع تفاصيله، فيجيب عن كل سؤال ويقول "نعم" أنا مؤمن بالأب والابن وروح القدس، فيخرجونه من الحوض ثم يدهنون جبينه وأذنيه وصدره بذلك الزيت الخاص، ثم يلبسونه لباساً أبيض، للدلالة على أنه تطهر من ذنوبه السابقة كلها بهذا الاصطباغ. ثم يدخل هؤلاء الذين قد تم تمريرهم بعملية الاصطباغ مبنى الكنيسة بالجماعة. ويشتركون في الاحتفال الخاص بالعشاء الرباني.

9. **عقيدة العشاء الرباني**: (Lord's Supper)

العشاء الرباني ركن من العقيدة، له عدة أسماء، مثل: الشكر:

(Eucharist) والغذاء المقدس: (Sacred Meal) والاتحاد المقدس: (Holy Communion)

يعقد الاحتفال الخاص بالعشاء الرباني بعد اعتناق الديانة النصرانية في ذكرى فداء المسيح (عليه السلام)، لأنه كان قد تناول العشاء مع الحواريين قبل يوم من اعتقاله، كما ذكر في إنجيل متى:

"حين كانوا يتناولون الطعام أخذ المسيح الخبز، وقطعه ببركة الله ثم وزعه على الحواريين، وقال: خذوا وكلوا هذا جسمي، ثم أخذ الكأس، وشكر الرب، وأعطاهم تلك الكأس، وقال: اشربوا منها، هذا دم عهدي الذي أهدر للكفارة عن ذنوب كثير من الناس".(62)

وأضاف لوقا جملة إلى هذا النص: "وبعد ذلك قال المسيح للحواريين: اعملوا هذا لذكراي".(63)

فهذا الاحتفال يعقد تنفيذا لما أمر به المسيح. ويكتب (جسطين مارتر) عن هذا الاحتفال الخاص بالعشاء الرباني:

"يبدأ الاحتفال بالدعاء والترانيم، وبعد ذلك يتبادل الحاضرون القبلات ثم يتم الإتيان بالخبز والخمر. ثم يقرأ على الخبز والخمر دعاء البركة، ويقول الحاضرون على ختامه "آمين"، ثم يتم توزيع الخبز والخمر من قبل خدام الكنيسة، وبهذا الفعل يتحول الخبز إلى جسم المسيح والخمر يتحول إلى دم المسيح. وفي النهاية يجدد الحاضرون ذكرى عقيدة الكفارة عن ذنوبهم.(64)

ولكن فرقة بروتستنت يعترف بأن العشاء الرباني مجرد ذكرى لفداء المسيح. إلا أنها لا تعترف بأن الخبز يتحول إلى جسم المسيح والشراب يتحول إلى دم المسيح.(65)

10. عقيدة تقديس الصليب

ويتبين من الواقع التاريخي لتقديس الصليب أن الصليب لم يكن مقدساً لدى النصارى ولم تكن له أهمية اجتماعية إلى سنة 3م. والرواية المعروفة في هذا الصدد هي أن الملك قسطنطين كان في الحرب مع عدو له سنة 312م، فكان قد رأى (غالبا في حلمه) شكل الصليب على السماء ثم وجدت والدته سنت هيلينا صليبا في مكان ما.فقال الناس عنه: إنه هو الصليب الذي صلب به المسيح (حسب زعم النصارى) فبدأ يحتفل النصارى احتفالا من كل عام في 3 مايو بذكرى العثور على الصليب، وبعد ذلك صار الصليب شعارا للنصرانية: (A Symbol of Christianity)

وهذه هي عقيدة الصلب والصليب عند النصارى، وإنهم في عقيدتهم هذه يستندون إلى عدة نصوص، منها ما ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية (فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ولأجل الخطيئة دان الخطيئة في الجسد، لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح)(66)، (ولكن الله بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثير ونحن متبررون لأن بدمه نخلص من الغضب). (رومية: 5/ 8-9) من أجل ذلك كأنما إنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع) (رومية: 5/ 12) وقد ورد في رسائل بولس الأخرى: (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على الخشبة) (غلاطية: 3/ 13) (الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية) (تيموثاوس: 9/1).

ويعتقد النصارى أن المسيح مات مصلوبا فداء للخليقة، وذلك (أن الله لشدة حبه للبشر قد أرسل وحيده ليخلص العالم من الخطيئة التي ارتكبها آدم حينما أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رضى تام فتغلب بذلك على الخطيئة، وأنه دفن بعد صلبه، وقام بعد ثلاثة أيام مغلبا على الموت ثم ارتفع إلى السماء، ومن لا يؤمن بقضية الصلب لايعد نصرانيا، لذلك أدمجوا قضية الصلب في دستور إيمانهم الذي يجمع كل عقائدهم، فعلى هذا نزل الله من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء، وتأنس وصلب، ليرفع بإراقة دمه وزر خطيئة آدم عن البشر). (67)

11. عقيدة توريث الخطيئة الأصلية

لقد خلق الله آدم وحواء (عليهما السلام) وأسكنهما الجنة وأحل لهما طيباتها والاستمتاع بما فيها، وحرم عليهما شجرة واحدة وأوصاهما ألا يقرباها، ولكن آدم وحواء عصيا ربهما وأكلا

من الشجرة، فترتب على ذلك وقوعهما في الخطأ، ثم تابا إلى الله وندما على فعلتهما، فتاب الله تعالى عليهما، وقد أشار القرأن إلى ذلك، قال تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)، (سورة البقرة: 37). ورفض القرآن الكريم أن تفرض خطيئة آدم وحواء على الناس جميعا كما يعتقد علماء اللاهوت النصارى، فالمسئولية الدينية في نظر القرآن الكريم شخصية محضة، قال تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)(68) و(ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه) (69)

ولكن النصارى يرون أن الله تعالى لم يغفر لآدم خطيئته بل لم تقتصر هذه الخطيئة على آدم وحواء، فقد امتدت بحكم الدم الموبؤ بالخطيئة إلى البشرية كلها على الأجيال.(70) ويؤكد ذلك القس إلياس مقار بقوله: (وغير خاف أن الأبوين الأولين لم يصبحا خاطئين فحسب بل مورثين لجمع أبنائهما على وجه التعاقب والاستمرار.)(71)

ويشير إلى ذلك بولس بقوله: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع). (رومية: 5/ 12)

فآدم حين ارتكب الخطيئة لم يعاقبه الله عليها ولم يقتص منه، لأن جزاء الخطيئة هو الموت لكن الله لم ينفذ حكم الموت الجسدي في آدم الذي أنذره به في حالة العصيان (حين تأكل منها موتا تموت) بل أنقذه من هذا الموت، وذلك بتوقع الموت على حيوان عوضا عنه، وإن كانت هذه الذبيحة الحيوانية في حد ذاتها غير كافية للفداء، لكن لأنها كانت رمزا إلى ذبيحة عظمى في نظر الله لذلك اكتسب وقتئذ شرعا قوة الفداء.(72)

ويزعم النصارى أن الخطيئة لا تمحي إلا بسفك الدم استنادا إلى قول بولس: (وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة).(73)

ولكن ما هي الفدية التي يمكن أن تكفر عن آدم، وما هي الدماء التي يكفي سفكها لتخليص آدم وزوجته وذريته من الخطيئة، يقول إبراهيم لوقا: (إن الفدية يجب أن تكون طاهرة

من كل عيب ودنس، مقدسة بلا لوم، وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر وقدوس، وبلا عيب سوى الله عزوجل، ويجب أن تكون أيضًا عظيمة القدر توازى ثمن العالم بأجمعه سوى الله).

فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدا فيه يتحد اللاهوت والناسوت، وهذا ما تم في السيد المسيح باعتباره الله ظهر في الجسد، ففي المسيح كمال مطلبي العدل والرحمة، وهكذا كان لابد لله أن يتجسد ويتخذ صورة بشر ليموت عن البشر.(74)

لقد أسهب كتاب النصارى في سرد نظرية الصلب ووصف عملية التنكيل والتعذب التي مر بها عيسى "الإله المتجسد" قبل صلبه، وتتفق الأناجيل المعترفة لدى الكنائس على أن المسيح قد صلب وأنه كان يعرف أن ذلك سيحدث له، والوقت الذي سيصلب فيه، وأن تلميذه يهوذا الإسخريوطى هو الذي سيسلمه لمن سيصلبونه، بل إن الأناجيل تذكر أن المسيح كان يعرف مقدما الحالة التي سيكون عليها كل تلميذ من تلاميذه، فيهوذا سيسلمه إلى أعدائه ليصلبوه، وبطرس سينكر معرفته به ثلاث مرات، وكلهم سيشكون فيه ليلة تسليميه.(75)

12. بطلان هذه العقيدة الوهمية

1. "خطيئة آدم كانت تجربة استطلاعية أم إثما" هذا الموضوع جدير بالبحث والتحقيق.

2. قد انتقلت خطيئة آدم أولا إلى ذريته، ثم منها إلى المسيح (عليه السلام). فهل يتصور أن يعاقب الله العادل شخصا لم يرتكب خطيئة بدلا ممن ارتكبها.

إذا كان الإله هو الذي خلق الخلق وهو الذي فطرهم على هذه الحالة ويعلم أن منهم المسئ ومنهم المحسن أزلا، وأعد لكل منهم جزاءا عادلا، فلأى شيء يحزن ويجزع وينكر قلبه لأجل خطاياهم، أما كان بالأجدر أن يخلق الإله القادر ما لا يحزنه ابتداء؟ فإن قالوا إنه لم يكن يعلم ابتداء بما سيحدث فقد وصفوه بالجهل، وهذا يتنافي مع مقام الألوهية.

3. إذا كان آدم قد أخطأ فما ذنب ذريته ليتوارثوا خطيئته من بعده، وهذا مبدأ قد نهت عنه كل الشرائع، وقد صرحت التوراة بما نصه: (لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل). (سفر التثنية: 24/ 26)

ورفض النبي حزقيال مبدأ توريث الخطيئة، فقال: (وأنتم تقولون لماذا لايحمل الابن إثم الأب، أما الابن فقد فعل حقا وعدلا وحفظ جميع فرائضي، وعمل بها فحياة يحيا النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب شيئا، والأب لا يحمل من إثم الابن شيئا، بر البار عليه يكون، وشر الشرير يكون). (حزقيال: 18/ 19- 20)

كما أن المسيح يعتبر الأولاد أبرارا وأتقياء، ولم يولدوا خطاة، فجاء في إنجيل متى ما نصه: (وقدموا إليه أولاد لكى يلمسهم، وأما التلاميذ فانتهزوا الذين قدموهم، فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ، وقال لهم دعوا الأولاد يأتون إلَيَّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله الحق... فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم). (مرقس: 10/ 13- 16)

وهل من العدل أن يضار البشر جميعا بسبب خطيئة ارتكبها آدم؟ وكيف رضى الله أن يخلد موسى وإبراهيم وسائر الأنبياء والمرسلين في النار بسبب خطيئة آدم؟

ثم ما بال المسيح يحتمل وزر جريرة آدم ويصلى ذلك العذاب الذي استغاث منه استغاثة شديدة، ويا ليته كان المسيح فحسب بل الإله - في زعم النصارى- فالخطيئة لم تقتصر على النوع الإنساني، بل تعدته إلى الإله، فذاق مرارة العذاب ألوانا.

4. إذا كانت الكلمة تجسدت في المسيح من أجل محو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي توجد بعد ذلك؟ ومنها ما هو أعظم من خطيئة آدم مثل إنكار وجوده (سبحانه وتعالى) أو السخرية والاستهزاء به بل قتله -كما يقولون- فما فائدة صلبه إذا عن خطيئة واحدة وترك خطايا أعظم جرما منها.

5. يدعى النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأى عدل وأى رحمة في صلب وتعذيب غير المذنب، وما وضعت العقوبات في الشرائع الإلهية إلا لتأديب الجناة ليكف غيرهم عن ارتكاب الجرائم، فمن العدل إذن تقع العقوبة على المخطئ لا على غيره، وإلا كان هذا عبثا. فكيف يصح إذاً أن يعاقب المسيح "الإله المتجسد" الذي لم يصدر منه أى خطأ؟ فإن قالوا إنه رضي بذلك قلنا إن من يراجع قصة الصلب يجد أنه قد جزع جزعا شديدا من هول ما سيلاقيه من الموت ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى: (حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جشيماني) فقال للتلاميذ اجلسوا ها هنا حتى أمضى وأصلى هناك ثم أخذ معه بطرس وابن زبدي وابتداء يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معي ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت). (متى: 26/ 38-39).

فإذا كان المسيح "الإله المتجسد" قد سلم نفسه باختياره فلم أصيب بكل هذا الجزع والخوف ولم دعا الله من أجل أن يرفع عنه هذه البلوى، فهل مع كل هذا يكون هو الإله؟ وهل يجزع الإله؟ أو يناجي نفسه؟

ثم لماذا كان المسيح وحده مسؤلا من بين كل البشر عن خطيئة آدم؟ وقد ذكر الكتاب المقدس عند النصارى أن الله صفح وتاب على أهل نينوى عندما صاموا وتابوا.(76) إلا أن النصارى يقولون: إن الصوم والصلاة والصدقة والتوبة لا تجدى شيئا، لأنها طريقة بشرية، ولا بد في التوبة من وسيلة إلهية، وهي أن يصلب نفسه على الصليب، والحكمة من ذلك غير معلومة.

كما أنه من الملاحظ أنه لم يرد على لسان المسيح ولا غيره من الأنبياء السابقين عليه من قريب أو من بعيد نص واحد يشير إلى هذه الخطيئة الأزلية الموروثة عن آدم وحواء، ولا إلى الخطايا الثانوية التي يرتكبها الناس بألسنتهم وأيديهم.

ثم إن الأناجيل التي تحدثت عن الصلب تختلف اختلافا شديدا، وتناقض تناقضا بينا في سرد قصة الصليب سواء كان حامل الصليب هو المسيح أم شخص غيره؟ وسواء كان في الشراب الذي شربه المصلوب هل هو خمر عادية أم خمر ممزوجة بمرارة؟ وهل وقع الصلب في الساعة الثالثة أو السادسة؟ وهل صرخ المصلوب أم أنه أسلم الروح؟ وهل النساء اللاتي شاهدن المصلوب هن نساء كثيرات لا حصر لعددهن أم نساء معدودات معروفات؟ (كل هذه التناقضات واردة في الكتاب المقدس متى ومرقس ولوقا ويوحنا).

إن الأناجيل هذه اختلفت في كل جزئية من النصوص التي تحدثت عن حادث الصلب، وهذا الاختلاف يكفي لرفض ما ورد في هذه الأناجيل، لأنها تحتمل الصدق والكذب بكونها مجرد أخبار، وبالتالي يترتب الشك والكذب عليها جميعا.

ثم إن النصارى قد برءوا اليهود من جريمة قتل المسيح وصلبه، لأنهم صلبوا شخصا آخر غير المسيح، وليس من المؤكد أنه المسيح، كما أن الواقع التاريخي لتقديس الصليب يتبين منه أن الصليب لم يكن مقدسا عند النصارى إلى سنة 325م، ولم يقدسه الحواريون إلى أن جاء قسطنطين وجمع النصارى في مجمع نيقية، وأدخل الوثنية في الديانة النصرانية وبدأ تقديس الصليب.(77)

ويذكر عن الفلاسفة الغنوسطيين أنهم ذهبوا إلى أن المسيح لم يصلب وأن الذي صلب هو شخص غيره خيل لليهود أنه المسيح، ولا تزال إلى وقتنا الحاضر جماعة في أمريكا تؤمن بآراء الغنوسطيين.(78)

وإن النصوص التي تحكي لنا قصة صلب المسيح (عليه السلام) هي لا تنص نصا قاطعا للشك على أن المصلوب كان هو المسيح بعينه، بل هي محتملة، لأن المصلوب كان غيره.

الفصل الخامس:

الكتب المقدسة عند النصارى

الفصل الخامس

الكتب المقدسة عند النصارى

الكتب المقدسة عند النصارى تطلق على العهد القديم والعهد الجديد.

أ. العهد القديم

هو الكتاب الذي يقدسه اليهود والنصارى، ويشتمل على تسعة وثلاثين سفرا، وهي: سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، ويشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني، وعزرا، نحميا، وأستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الأناشيد، وأرميا، ومراثي أرميا، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويونيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوم، وضفيا، وحجى، وزكريا، وملاخى.

وقد اختلف المؤرخون في اللغة التي كتب بها العهد القديم، فيقول البعض إنه كتب بالعبرية، وقيل بالكلدانية باعتبار أن الآرمية فرع من العبرية، وقد ترجم العهد القديم إلى لغات كثيرة.

ومن أشهر الترجمات القديمة "الترجمة السبعينية" وهي تعتبر أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم عن نسختها العبرية إلى اللغة الإغريقية السائدة في مدينة الإسكندرية وهي اللغة الهيلينية.

أما الترجة اللاتينية "الفلجاتا" فهي مترجمة عن النسخة السبعينية الإغريقية عام 404م وأما أقدم ترجمة عربية كاملة لكل الكتاب المقدس، فهي تلك التي قام بها "يوحنا" فقد ترجمها عن اليونانية، وقد طبعت ترجمة العهد الجديد البروتستانتية الأمريكية من اللغات الأصلية، وهي العبرانية والكلدانية واليونانية سنة 1860م. أما ترجمة العهد القديم فقد طبعت سنة 1865م. في بيروت.

ثم نشرت ترجمة أخرى قام بها اليسوعيون في ما بين 1872-1880م. في بيروت، ثم ظهرت ترجمة عربية ثالثة قام بها أحمد فارس الشدياق عام 1851م، وذلك قبل أن يسلم.(79)

ويقول القس حبيب سعيد: كان طبيعيا أن يعتقد اليهود أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، والله أنزل عليهم الشريعة عن طريقه، ولما تناول المسيحيون العهد القديم من اليهود، أخذوا عنهم هذه النظرية.... إلا أنه في خلال المائة سنة الأخيرة توسع العلماء في البحث والاستقصاء وأثبتوا خطأ هذه النظرية... ويقول العلماء أن بعض أجزائها يرجع تاريخية إلى أزمنة مختلفة وعصور متأخرة، وإن ثلاثة من هذه الأسفار: التكوين والخروج والعدد، تضمنت ثلاثة أنواع من الكتابات، ونجد أحيانا بيانين مختلفين عن حادثة واحدة.(80)

فالعهد القديم ليس كتاب الله الذي أنزل على موسى (عليه السلام)، وإنما هو من ابتداع الأحبار والرهبان، وتلفيق الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون.

والذي يتفحص أسفار العهد القديم يجد أنها تختلف عن بعضها، منها الطويل ومنها القصير، وتختلف في الأسلوب والتراكيب، وكل هذا يدل دلالة واضحة على أن الصناعة البشرية داخلة فيها، فهي ليست وحيا إلهيا، ومما هو متفق عند علماء الأديان أن العهد القديم قد حرف وبدل ووجدت فيه النصوص المتناقضة.

ب. العهد الجديد

هو القسم الثاني من الكتاب المقدس، ويشتمل على سبعة وعشرين سفرا، وينقسم إلى ثلاثة أقسام. الأول منها عبارة عن الأسفار التاريخية، وهي معروفة بالأناجيل، وهي أربعة: إنجيل متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا، وهي معتمدة لدى النصارى، والثاني منها عبارة عن الأسفار

التعليمية، وتشتمل على إحدى وعشرين رسالة، وهي كلها رسائل بولس، والثالث منها عبارة عن رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وبعد أن رفع المسيح وضاع الإنجيل الرباني المنزل عليه كتبت أناجيل كثيرة زادت على المائة، فاختارت الكنيسة منها أربعة، وهي: إنجيل متي، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهي المقصودة بكلمة الإنجيل عند النصارى الآن. والأناجيل ليس فيها تشريعات وأحكام، لأن المسيح (عليه السلام) كان يعمل بشريعة التوراة.(81)

1. إنجيل عيسى بن مريم (عليهما السلام)

يذكر (برنابا) في إنجيله أن عيسى جاء بكتاب من عند الله يعرف بالإنجيل. ويقول الشيخ محمد أبو زهرة "إننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت في القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل فيما جاء به المسيح" وخلاصة أحواله، وهذه ترجمة ما قاله "نارتن" في كتاب له، وقال: "أكهارن" في كتابه: (إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها هي الإنجيل الأصلي. والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب) ثم يقول الشيخ أبو زهرة: إذن فهؤلاء الأحرار يقررون أنه كان هناك إنجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب، ولكنه غير موجود.(82)

وقد كان للاضطهادات التي لحقت بالنصارى في القرن الأول والثاني أكبر الأثر في ضياع إنجيل عيسى (عليه السلام) وانقطاع سنده عن النصارى، ولهذا ظهرت أناجيل كثيرة بعد ضياع إنجيل عيسى بن مريم (عليه السلام).

ولقد انعقد مجمع نيقية الأول سنة 325 ليتشاور النصارى حول هذه الأناجيل، فلم يقروا إلا الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى إلى اليوم، وهي: إنجيل متى ولوقا ومرقس

ويوحنا، ثم تتبعت المجامع النصرانية بعد ذلك لتوثيق الاعتراف بهذه الأناجيل. يقول القس حبيب سعيد: (بحسب ما لدينا من أدلة تاريخية كان مجمع قرطاجنة الذي انعقد سنة 397م أول مجمع صدق على المجموعة الكاملة لأسفار العهد الجديد، ولم يصدق نهائيا مجمع الكنائس الشرقية إلا في سنة 692 ب. م. على قانونية الأسفار التي اعترف بصحتها القديس اثناسيوس قبل هذا التاريخ بثلاثمائة سنة. (397 ب.م.)(83)

فمن الطبيعي أن نقول إن الأسفار التي رفضتها المجامع الكنيسية، لم نعرف سبب رفضها، وهل ما فيها يخالف ما هو في الأناجيل المعتمدة، وما سبب حمل الناس على تركها مع أنها كانت رائجة قبل رفضها، ويأخذ بها طوائف من النصارى، وكنا نود أن نعرفها، ونقف عليها (فإن الاطلاع عليها تمكننا من معرفة اعتقاد الناس في المسيح، وكيف كان خصوصا بين أولئك الذين قاربوا عصره وأدركوا زمانه، ولقوا تلاميذه، ونهلوا من مناهلهم، وإذا ضن التاريخ بحفظ نسخ منها، فقد كنا نود أن تطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالف وما كان من سبب رفضها. لنرى حجة الرفض لتكون دليلا منيرا لها على أنها بهذا أقامت ديانة المسيح ولم تغيرها، ولكن ضن التاريخ علينا، فطوى تلك الأناجيل، وضنت الكنيسة فطوت تلك البيانات، فلم يبق لنا إلا أن نكتفي من الدراسة بما بين أيدينا، لعل فيها غناء إن أمعنا النظر في الاستنباط، وجعلنا لقضية العقل سلطانا، ومن بديهياته برهانا).(84)

2. حقيقة الأناجيل الأربعة عند النصارى

وبعد دراسة الأناجيل الأربعة يتبين للدارس أنها لم تكتب في عهد المسيح (عليه السلام). ولقد اعترف بذلك النصارى أنفسهم، يقول القس حبيب سعيد:

"إن كانت أولى الوثائق المسيحية كتبت بعد حياة المسيح، فكيف تستوثق بأنها كانت مدونات تاريخية صحيحة ثم إن أكثر هذه الوثائق كتبها أشخاص غير التلاميذ

الأصليين الذين عاشوا مع المسيح (يقصد بذلك الحواريين) فبولس لم ير المسيح بالجسد، فكيف إذا نضع ثقتنا في وثائق العهد الجديد، وكيف تركن إلى مجرد ذكريات اختزنها الأولون في عقولهم، ثم يقول القس: إننا اليوم ندون تقاريرنا ومذكراتنا بطرق شتى، ولكن في القرن الأول لم يكن لدى العالم غير الأصوات البشرية لتدوين الوقائع التاريخية فكيف قام الأولون بتدوين تلك الوقائع؟"(85)

وأضاف القس حبيب سعيد قائلاً: (ولسنا نعرف متى شرع في هذه المجموعة المكتوبة ولا كيف كتب، لأنه لم يبق شى من تلك المجموعات الأولى عن أقوال يسوع وأفعاله على الأقل في وضع معين، ويسوع نفسه لم يكتب شيئا، ولا فكر أتباعه في تدوين قصة مكتوبة عن سيدهم وتسليمها للأجيال اللاحقة، ونظراً لعدم وجود أدلة مباشرة، فإننا مضطرون إلى أن نلجأ إلى الحدس والتخمين.(86)

ثم قال عن الأناجيل الأربعة: (ولا يدعى كتاب البشائر أنفسهم أنهم كانوا تحت إرشاد إلهي حينما كتبوا، ويبدو في الظاهر أنهم كتبوها من تلقاء أنفسهم حسب مقتضيات الظروف.(87)

وأما القس عبد الأحد داود، فيقول: إن هذه السبعة والعشرين سفرا لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا من القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية سنة 325م لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة، قبل التاريخ المذكور، بل تم انتخاب الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية من أكثر من أربعين أو تسعين إنجيلا، ثم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لاتعد ولا تحصى، وصودق عليها، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح، وكان اختيار كتب العهد على أساس رفض الكتب المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها.(88)

وأن الإناجيل الأربعة قد تم انتخابها على أساس أنها كانت توافق لعقيدة مجموعة من النصارى، ولم يتم انتخابها على أساس كتب إلهامية من الله، ولذلك ما لم يكن يتمشى مع عقيدتهم في ألوهية المسيح (عليه السلام) تم إحراقها، وذلك على الرغم من أنها كانت من الأناجيل المقدسة عند بعضهم، وأنها كانت معتبرة وسائدة قبل حرقها مثل الأناجيل الأربعة تماما.

ويرجع أقدم النسخ الأصلية من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث الميلادي، أما النسخ الأصلية فتعرضت بعد كتابتها لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو المطابقة لأغراضها في المسائل اللاهوتية لأهداف خاصة، كما تعرضت على مدى قرنين لأخطاء النقل.(89)

ويستحسن أن نلقي الضوء على الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى على وجه الخصوص، وذلك لمعرفة مدى صحة ما ورد فيها، ومدى صحة ما نسب إلى المسيح (عليه السلام) من أقوال.

3. إنجيل متى

يشمل هذا الإنجيل على ثمان وعشرين إصحاحا، وينسب إلى متى كما يذكر النصارى، وهو أحد تلميذ المسيح (عليه السلام)، وكان يدعى لاوي بن حلفي، وكان يجبي الضرائب للرومان في كفر نحوم من أعمال الجليل بفلسطين،(90) ويذكر متى في إنجيله أن المسيح (عليه السلام) قد اختاره تلميذا له، وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له اتبعني، فقام وتبعه.

ويذكر زكى شنوده"أن المؤمنين (بعد صعود المسيح) طليوا إليه (متى) أن يكتب لهم الإنجيل بالآرمية، فأجاب إلى طلبهم. قد بشر في فلسطين، وفي صور وصيدا ثم انطلق إلى

بلاد الحبشة، فآمن على يديه كثيرون، فأطلق عليه الملك جنوده، فأمسكوه، وضربوه ضربا شديدا حتى مات شهيدا".(91)

ومن النصارى من يذكر أن (متى) كان يهوديا، وكتب إنجيله لليهود باليونانية، ليبين لهم أن تراثهم اليهودي قد انتقل إلى النصارى، ولم يكن متى من تلاميذ المسيح الاثني عشر.

ويذكر القس حبيب سعيد (أن هذا الإنجيل لم يذكر شيئا من القصص والحوادث التي يرويها شاهد العيان بل قد نقل نقلا عن إنجيل مرقس، ولو كان الكاتب تلميذا للمسيح لروى الكثير مما شاهد وعاين ومما سمع من قصصه الأصلية، ولكن متى اتخذ مرقس مصدرا لإنجيله، ثم إنه كتب هذا الإنجيل بعد انقضاء فترة خمسين أو ستين سنة على ما رواه من الحوادث، وبعيدا جدا أن شاهدا من التلاميذ الأوائل ينتظر هذه الفترة الطويلة قبل تسجيل هذه الذكريات).(92)

ويذكر أيضًا: أنه لم يرتب هذا الإنجيل ترتيبا حسب سياق الوقائع، بل المواضيع، فيجمع أعمال المسيح وأقواله حسب مشابهتها بعضها البعض، ومع ذلك يبرهن أن يسوع الناصري هو المسيح، وكثيرا ما يبرز متى شواهد من نبوات العهد القديم.

ثم يتساءل ويقول: (لا يعلم هل هذا الإنجيل هو الأول باعتبار زمن تأليفه إلا أنه يستحق الوضع في صدر العهد الجديد لكونه الحلقة الموصلة بين العهد القديم والجديد، وبين الناموس والإنجيل).(93)

ويشك البعض في شخصية متى ويقرر (أنه لم يعد مقبولا بأن يقال إنه (متى) أحد أصحاب عيسى).(94)

وهناك اختلاف بين النصارى في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، فقد ذكروا عدة أقوال، منها: أنه ألف في عام 37، أو 38 أو 41 أو 43 أو 48 أ, 61 أو 63 أو 64م، وقد اختلفت الأقوال في لغته التي كتب بها هل هي العبرانية، أو السريانية، أو اليونانية؟

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: (واختلف القول بخصوص لغة هذا الإنجيل الأصلية، فذهب بعض (النصارى) إلى أنه كتب أولا في العبرانية أو الآرمية التي كانت لغة فلسطين في تلك الأيام. وذهب آخرون إلى أنه كتب في اليونانية... وأن هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم، وذهب بعض القدماء إلى أنه كتب في السنة الثامنة بعد الصعود، وذهب آخرون إلى أنه كتب في الخامسة عشر، ويظن البعض أنه كتب بين سنة 60 و65م.(95)

وإذا كان متى الذي ينسب إليه الإنجيل هو نفسه المختلف فيه، فمعنى ذلك أن مصدر هذا الإنجيل مجهول، وكذلك النسخة الأصلية التي كتب فيها، وكذلك تاريخ تدوينه، والمترجم الذي ترجمه، واللغة التي كتب بها، والتي ترجم إليها، فالأصل الذي ترجم عنه مطلوب لمعرفة أكانت الترجمة طبق الأصل، أو فيها انحراف، ولمعرفة أ فهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها، ولكن جمهرة علمائهم قالوا إن المترجم لم يعرف. فمن أين الثقة بالترجمة والمترجم مجهول؟ لأن ثقة الترجمة مرتبطة بثقة الراوي، ومترجم الروايات.(96)

"فالنصارى يأخذون بالظن، والظن لا يغني من الحق شيئا في البحث العلمي، ولا ينفع في هذا المجال الذي يتطلب اليقين في كل الأمور، وبعد كل ذلك يمكن القول بأنه من العجب وسفاهة القول ادعاء النصارى أن هذا الإنجيل كتاب مقدس".(97)

4. إنجيل مرقس

يشتمل هذا الإنجيل على ستة عشر إصحاحا، وهذا أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة، وهو الثاني في الترتيب،(98) وينسب إلى مرقس، واسمه يوحنا، ويلقب بمرقس، هو من هؤلاء اليهود الذين كانوا يسكنون في أورشليم بفلسطين، وهو ابن أخت "برنابا" صاحب المسيح (عليه السلام) كما جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوس: "ومرقس ابن أخت برنابا".(99)

ويذكر أن: مرقس كان من الأوائل الذين آمنوا بالمسيح ضمن السبعين رسولا. قد بشر في إنطاكية وآسيا الصغرى، وخمسة من المدن الغربية، ثم قصد إلى مصر، ثم غادرها إلى روما، ثم عاد إلى الإسكندرية، ومات بها.(100)

وقد لازم مرقس خاله برنابا وبولس رحلتها إلى إنطاكية، ثم عاد إلى يورشليم، ثم التقى بخاله مرة آخرى، واصطحبه إلى قبرص ثم افترقا، فذهب إلى شمال إفريقيا، ثم دخل مصر في منتصف القرن الأول ثم سجن وعذب وقتل في سنة 62 من الميلاد.(101)

ويذهب كثير من علماء النصارى إلى أن الذي كتب هذا الإنجيل هو بطرس، إلا أنه منسوب إلى مرقس كما يقول إيرنيوس: (بعد موت بطرس وبولس فإن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه سلم إلينا كتابه ما صرح به بطرس) ويقول ابن البطريق: (إن بطرس رئيس الحواريين هو الذي كتب إنجيل مرقس بتدبير من بطرس عام 61 ليستخدمه بطرس في تبشيره، وصرح (جيروم) بأن بعض المتقدمين من العلماء (النصارى) كانوا يشكون في الباب الأخير من إنجيل مرقس.(102)

وقال القس حبيب سعيد عن هذا الإنجيل: إنه في سنة 140م نقل برنانياى عن شيخ من شيوخ الكنيسة ما يلي: (كتب مرقس الذي كان مترجما لبطرس كل ما تذكر، ولكنه لم يكتبها في تسلسل تاريخي، ولذلك هو نفسه لم يسمع ربنا (المسيح) ولم يكن من أتباعه المقربين، ولكنه كان تابعا لبطرس، وكان يكيف أقواله وفق الظروف، وليس كمن يروي سيرة منسقة منظمة، ولم يكن أمام مرقس إلا هدف واحد ألا يحذف شيئا مما سمع على لسان بطرس، وألا يضيف إليه شيئا وبعد أن مات بطرس لم يكن هناك إنسان أكثر لياقة وكفاية ليكتب كل ما علم به بطرس ثم يذكر في نهاية حديثه عن هذا الإنجيل قائلا: (كل هذه لمسات بطرس كأنه وقع عليها بإمضائه في بشارة مرقس).(103)

ويذكر (وليام باركلي) أن مرقس كان يؤكد الجانب البشري في المسيح، حتى أن الكتاب الذين اتبعوه اضطروا إلى إدخال بعض التعديلات في كثير من عباراته. فبينما يذكر

مرقس أن يسوع كان نجارا يتحرج متى فيذكر أن المسيح كان يجوع ويتعب ويحتاج للراحة.(104)

ويرى موريس بوكاى في نص هذا الإنجيل: (أن نص هذا الإنجيل يظهر عيبا رئيسيا أوليا لا جدل فيه، فلقد حرر دون أى اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث... كما أن هذا المبشر يبرز افتقارا كاملا للمعقولية، وينقل عن الأب روجي قوله: "إن مرقس كان كاتبا غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالا، فهو لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية".(105)

أما اللغة التي كتب بها إنجيل مرقس، فكاد يتفق كتاب النصارى على أنه كتب باليونانية، فقال زكي شنوده في حديثه عن مرقس (قد كتب إنجيله باللغة اليونانية).(106)

ثم (إن استخدام البشير لكلمات لاتينية كثيرة في صورتها اليونانية يرجح رأي القائل بأن البشارة كتبت في روما).(107)

وقد اختلف النصارى في زمن تدوين إنجيل مرقس، فقال بعضهم إنه ألف سنة 56م إلى 65م... وقال بعضهم إنه ألف سنة 60م أو 63م، وقال بعضهم إنه ألف سنة 61م. ويعتقد كثير من علماء النصارى أن ما كتبه مرقس في الإصحاح 13 قد سطر بعد عام 70م.(108)

فلا يعرف أحد باليقين من الذي كتب هذا الإنجيل، ولا أين كتب، ولا في أي زمان كتب.

5. إنجيل لوقا

هذا الإنجيل هو الثالث في الترتيب. وكاتب هذا الإنجيل "لوقا"، ولد في إنطاكية، درس الطب ومارسه طبيبا، وكان يرافق بولس في أسفاره، وخاصة في روما، وقد كتب إنجيله باليونانية كما كتب أعمال الرسل.(109)

إن لوقا لم يكن من الحواريين ولا من تلاميذهم، وإنما تتلمذ على يد بولس، وقد اختلف النصارى في جنسيته، فقال بعضهم إنه كان إنطاكيا، وقال بعضهم إنه كان رومانيا، واختلفوا أيضًا في عمله، فقال بعضهم إنه كان طبيبا، وقال بعضهم إنه كان أديبا فنانا، وقال الآخر إنه كان مصورا ورساما، وأنه هو الشخص الذي رسم العذراء كما يزعم النصارى.(110)

وإما من ناحية اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل، فاتفق المؤرخون النصارى على أنه كتب باللغة اليونانية -كما ذكر- وهناك ما ورد في الإصحاح الأول من هذا الإنجيل يؤكد أن لوقا كتب هذا الإنجيل لشخص يسمى (ثاوفيلس) فيقول في فقراته الأولى: (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز "ثاوفيلس" لتعرف صحة الكلام الذي علمت به). (لوقا: 1/ 1- 4)

ويتضح من هذه العبارة أن هناك كانت أمور يقينية وأمور مشكوك فيها عند النصارى مما كان يكتبه كثيرون. وأن كتابته على التوالي كانت موجهة إلى شخص كان عزيزا عنده اسمه "ثاوفيلس" وهناك من النصارى من يقول أن "لوقا" كتب إنجيله لليونان، ومنهم من يقول إنه كتبه للمصريين.

وقد اختلف النصارى في زمن تدوين هذا الإنجيل، فقيل إنه كتب مدة أسر "بولس" سنة 58-60 الميلادية، وقيل إنه ألف سنة 53م أو 63م أو 64م.(111)

فاختلف النصارى في هذا الإنجيل كما اختلفوا في غيره، فاختلفوا في شخصية "لوقا" مؤلفه، وفي عمله، والذين كتب لهم، ولم يتفقوا بشأنه إلا على أن "لوقا" لم يكن من الحواريين ولا من تلاميذهم، بل إنه كان من تلاميذ "بولس". وأنه كتب إنجيله باللغة اليونانية.

6. إنجيل يوحنا

وهذا الإنجيل هو الرابع ضمن أناجيل العهد الجديد، ويشتمل على إحدى وعشرين إصحاحا. أما بالنسبة لمولفه، فإن النصارى يقولون إنه يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد الذي كان يحبه المسيح، حتى أنه استودعه ووالدته وهو فوق الصليب -كما يعتقدون-

ولما كان إنجيل يوحنا قد ذكرت فيه ألوهية المسيح صراحة فقد اختلف النصارى في مؤلفه اختلافا كبيرا فقد ورد أول نص في إصحاحاته يقول: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله كل شيء كان بغيره لم يكن شيء مما كان).

ولما كان هذا الإنجيل مصرحا بألوهية المسيح وبالتثليث، وهما من أهم الأمور العقائدية عند النصارى نسبوا هذا الإنجيل إلى يوحنا صيحب المسيح أحد الحواريين ومن أحب تلاميذ المسيح إليه.(112)

ويبدو من النص الوارد في إنجيل يوحنا أن مؤسس عقيدة ألوهية المسيح والاتحاد والتجسيم لم يكن هو بولس فحسب، وإنما كان يوحنا من الحواريين أيضًا القائل بهذه العقيدة.

ولكن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي كانت تشك جماعة كبيرة من النصارى في أصالته ، وأنكرت أن مؤلفه هو يوحنا الحواري، حتى صارت أصالة هذا الإنجيل معضلة معقدة في النهاية، فأنكر علماء النصرانية في القرن الثاني الميلادي نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري.

فنذكر عن تلك الجماعة من النصارى التي أنكرت نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، لقد قال استاد لين: (أن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا).

ولقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصرانية ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما البعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي (كان) يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا).(113)

ثم هناك بعض العبارات من النصوص الواردة في هذا الإنجيل تدل على أن مولفه ليس هو يوحنا الحواري، وإنما كتبه عالم يهودي كان له الإلمام بالديانة اليهودية، لكن يوحنا ابن زبدي لم يكن متعلما ولم يكن يعلم المعتقدات اليهودية، وكذلك يبدو من إنجيل يوحنا أن كاتبه كان ينتمي إلى أسرة كان لها النفوذ والرسوخ، بينما كان يوحنا بن زبدي الحواري صيادا، وكان متواضعا ماديا، ثم إن هذا الإنجيل الرابع تناقض ما ورد في الأناجيل الثلاثة السابقة من نصوص، وكذلك يختلف عنها من حيث الأسلوب.

وأول من قرر بأن مؤلفه يوحنا الحواري هو أرينوس، الذي يرى علماء النصارى في شخصيته أنه لم يكن دقيق النظر في النقد، فلم يكن لرأيه اعتبار عندهم. فلا يعتد بما قال في شأن هذا الإنجيل.

وهناك وجود كثيرة – مثلما ذكر- قررت على أساسها جماعة كبيرة من علماء النصارى بأن إنجيل يوحنا كتاب مزور، فلا يعد من كتب إلهامية. ولكن هؤلاء العلماء من النصارى الذين يعتقدون بأنه ليس كتابا مزورا، يقولون بالاتفاق إن كاتب هذا الإنجيل ليس يوحنا بن زبدي الحواري، وإنما هو يوحنا الكبير: (John the Elder)

كما يكتب جيمس ميك كنن: "ليس من المستبعد أن آرينوس الذي لم يكن دقيقا في النقد والتحقيق، قام بخلط بين يوحنا الحواري ويوحنا الكبير".(114)

وكذلك كتب عالم كبير من النصارى (آرتش ديكن): "وقد وصلنا إلى هذه النتيجة أن رواية نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا بن زبدي ليست صحيحة".(115)

واستطرد قائلا: "والحق أن العلماء ليسوا مستعدين لقبول هذا رأي القائل بأن كاتب الإنجيل الرابع كان يوحنا بن زبدي بدون دليل مستند، والنقاد يخالفون هذا رأي عامة.

فإنه حاول أن يثبت دعواه بشيء من التفصيل بأن كاتب الإنجيل الرابع لم يكن يوحنا الرسول، وإنما كان يوحنا الكبير، لأن الذين يعتقدون بأن يوحنا بن زبدي هو الذي كتب الإنجيل – هم– لا يعترفون بأهميته التاريخية، لأنه خال من بيان الحوادث التاريخية، والعبارات التي وردت فيه هي عبارات الكاتب الذي أراد أن يدخل عباراته في كلمات الله (يعني المسيح).(116)

يعني إذا قلنا إن الإنجيل الرابع من تأليف يوحنا بن زبدي، فكانت أصالته في الخطر، فحاول "آرتش ديكن" أن يثبت أنه من تأليف يوحنا الكبير الذي كان من تلامذة عيسى (عليه السلام)، ولكن اسمه غير وارد في أسماء الحواريين الذين كان عددهم اثنا عشر، لأن المسيح كان قد أدخله ضمن الحواريين في آخر أيامه. ويوحنا الكبير كان شابا متعلما، وكان عالما بالتوراة، وكان ينتمي إلى أسرة الأشراف. وهذه المعلومة هي التي سائدة الآن في دنيا النصرانية، وبناء على هذه المعلومة أنه أنكر أن يعترف بأن يوحنا الحواري كان كاتب الإنجيل الرابع.

ولكن هذه المعلومة أيضًا خاطئة، والدافع وراءها ليس سوى محاولة لحماية أصالة إنجيل يوحنا، لأن السؤال الذي يطرح نفسه هو أن يوحنا الكبير إذا كان تلميذا آخر لعيسى (عليه السلام) غير الحواريين بعددهم اثنا عشر فكيف غاب اسمه من الأناجيل الثلاثة السابقة، رغم أن عيسى (عليه السلام) كان يحبه حبا شديدا وكانت له صلة وثيقة بالمسيح كما هو مفهوم من إنجيله، فلم يذكر اسمه في إنجيله، بل ذكر لنفسه كلمة التلميذ الذي كان

يحبه يسوع حبا شديدا، وكتب في النهاية أن المراد من هذه الكلمات هو كاتب الإنجيل الرابع نفسه. (21: 24)

فالسؤال إذن لماذا لم يدخله المسيح في زمرة تلامذته، رغم أنه كان مقربا إليه؟ في حين أن يهوداه اسكريوتي (الذي كان سارقا حسب نصوص الأناجيل (يوحنا 12: 6) والذي دل على المسيح ليتم القبض عليه (لوقا 22: 3 وغيرها) كان من الحواريين المقربين إلى المسيح، فلماذا لم يكن الكاتب واحدا من الحواريين الذين كان عددهم اثنا عشر ورغم أن بطرس كان متفكرا في أمره أكثر من أى شيء وقت صعود المسيح إلى السماء، أى أنه كيف يتحمل فراق المسيح (عليه السلام).

ثم ما السبب في أن الأناجيل الثلاثة تذكر كل ما حدث في حياة المسيح سواء كان صغيرا أو كبيرا، سوى اسم التلميذ المحبوب "يوحنا الكبير" فإذا كان هناك شخص اسمه "يوحنا الكبير" لماذا لم يفرق كتاب الأناجيل الأربعة بين "يوحنا زبدي" الحواري و"يوحنا الكبير" فرقا واضحا؟ لئلا يبق أى لبس واشتباه أو خلط بين شخصيتيهما، كما فرقوا بين شخصيتي يعقوب بن زبدي ويعقوب بن حلفئ وكذلك بين شخصيتي يهوداه بن يعقوب ويهوداه اسكريوتي لرفع الاشتباه والخلط بينهما.(117)

ثم لو كان هناك شخص اسمه "يوحنا الكبير" وكان تلميذ المسيح المحبوب فأين اختفي بعد صعود المسيح إلى السماء؟ ولماذا غاب اسمه من الأناجيل التي تذكر أخبار جميع تلامذة المسيح الممتازين بالتفاصيل وبدقة فائقة. فهل مات فور عروج المسيح إلى السماء، وهذا مستحيل، لأن إنجيل يوحنا قد كتب بعد مدة طويلة من عروج المسيح إلى السماء. وكما ذكر في هذا الإنجيل الرابع أن كاتب هذا الإنجيل لن يموت إلى قيام القيامة (يوحنا 21: 23) فالذين يعتقدون بأن يوحنا الكبير كانت له شخصية غير شخصية يوحنا بن زبدي يقولون إن يوحنا الكبير عاش مدة طويلة بعد وفاة عيسى (عليه السلام).

فالقول بأن هناك كان شخص اسمه "يوحنا الكبير" لا أساس له من الصحة وأغلبية المحققين النصارى ترى أن الجملة التي ذكرت في آخر إنجيل يوحنا وهي: "هذا هو ذلك التلميذ الذي كتب ويشهد بما كتب ونعلم أنه صادق في شهادته" (يوحنا: 21: 24) ليست لكاتب إنجيل يوحنا، بل أضاف إليه أحد فيما بعد. حتى أن مفسر الأناجيل المعروف بـ(ويست كات) (West Cott) الذي كان صاحب منهج المرجعية والاحتياط الدقيق، يكتب هنا أيضًا "يبدو أن في الواقع كانت الآيتان في الحاشية ثم أضيفتا إلى الإنجيل قبل طبعه، لأن هذه الشهادة ليست لمن كتب هذا الإنجيل، والأغلب أن الرجال الكبار من "أفسس" هم الذين أضافوا هاتين الآيتين إلى الإنجيل. وهذه هي النتيجة الواضحة لدراسة تقابلية بين الآية رقم: 24 والآية 19: 35. فلا يقال على أساس هاتين الآتين أن كاتبهما كان تلميذا لعيسى (عليه السلام). وقد أيد هذا رأي المؤلف الشهير بشب جور (Bishop Gore) ولذلك أخرجت هاتين الآيتين من بعض النسخ من الإنجيل الرابع.

فيثبت من هذه المقتطفات أن كاتب الإنجيل الرابع ليس يوحنا بن زبدي الحواري ولا تلميذ من تلامذة المسيح المعروفين، بل هو شخص عاش بعد مدة طويلة من عصر الحواريين، وتعلم من بولس أو من تلامذته، وكما قال "ويست كانت": "إن كبار رجال الدين النصراني من "أفسس" أضافوا إلى هذا الإنجيل جملا لنسبته إلى يوحنا الحواري، لتدل على أنه شهادته شهادة عينية، وذلك لإقامة الحجة ضد الفرقة الغناسطية التي لم تكن تعتقد بأن المسيح هو الإله المعبود، فظهرت هذه الحقيقة التي لا تجحد في دنيا العلم، أن عمليات التغيير والتبديل في الكتب المقدسة كانت مستمرة أثناء مناظرات الفرق المختلفة آنذاك. فيكتب المحقق النصراني الأستاذ برنت هيلمان استريتر في كتابه العلمي "الأناجيل الأربعة": (The Four Gospel) بالوضوح التام:

فإذا وجدنا أضافة جديدة في متن الإنجيل الرابع، للدلالة بها على كاتبه دلالة واضحة، وقد تم الاعتراف بأن هذه الإضافة ليست من عند الكاتب، فهل لا يقاس أن هذه

الإضافة أدخلت فيه بعد فترة، ولعل إضافات أخرى مثلها قد أدخلت في أماكن أخرى من هذا الإنجيل، بقصد إقامة الحجة على من كانوا ينكرون نقطة معينة ذكرت فيها، ليعترفوا بها، فسنذكر ما هي تلك النقطة المختلف فيها التي شغلت النصارى في القرن الثاني بعد قليل.

ففي ضوء هذا التصريح الواضح نفهم أن هذه الجملة: "هذا هو ذلك التلميذ الذي كتبه" (هذا الإنجيل) كانت محاولة لحل مسألة متنازعة، ويثبت منها أيضًا أن هناك كانت اختلافات وشكوك بين النصارى في صحة نسبة هذا الكتاب إلى كاتبها في تلك الفترة المبكرة.(118)

فلا يستبعد أن إنجيل يوحنا ورسائله من كتابة أحد من تلامذة بولس، والذين جاءوا بعده أضافوا جملا تدل على أن الكاتب شاهد المسيح مشاهدة عينية.

ويمكن أن يقال وبحسن الظن في أمر هذا الإنجيل "إن كاتب هذا الإنجيل الرابع هو يوحنا الكبير إلا أنه لم يكن من تلامذة عيسى (عليه السلام)، بل كان تلميذا لتلامذته. – كما يرى الدكتور بيكون– (119)

إلا أن (بابياس: Papias) قد جعل يوحنا الكبير تلميذا للمسيح، وقال عنه "بوليكارب" إنه كان شخصا رأى المسيح، وتعرف عليه (يوحنا 1: 2) ولكنه لم يحصل له من المسيح سوى الرؤية، وقد يكون عمره 12 سنة وقتئذ، جاء به والداه إلى أورشليم بمناسبة عيد الفسح، ومن الإمكان أنه كان من الحشد الذي شاهد عملية صلب المسيح.. ولعل كان عمره 77 سنة في عام 95م ولا شك أن رسالة يوحنا الأولى مكتوبة من شيخ مسن، يستطيع يستخدم لمن يخطابه بكلمة "إخوتي" ثم "أبنائي" (يوحنا 13: 13، 18) لأن كلمة "أبنائي" لايستخدمها عادة إلا من يكون عمره سبعين سنة على الأقل، فلا صعوبة في قبول أن يوحنا الكبير كتب هذا الإنجيل (الرابع) فيما بين 90م و95م وقد تجاوز عمره فوق سبعين سنة وقتئذ.(120)

فنستنتج من عبارة "بوليكارب" ما يلي من نتائج:

1. كاتب إنجيل يوحنا ليس يوحنا بن زبدي الحواري، وإنما هو يوحنا الكبير.
2. يوحنا الكبير ليس من الحواريين لعيسى (عليه السلام).
3. يوحنا الكبير لم ير عيسى (عليه السلام) إلا مرة واحدة، وكان عمره وقتئذ 12 سنة، فلم يجد فرصة ليستفيد من تعاليم المسيح (عليه السلام).
4. قد رأى يوحنا الكبير عيسى (عليه السلام) آخر مرة خلال عملية صلبه.
5. يوحنا الكبير لم يكن من سكان أورشليم، بل كان من سكان المناطق الجنوبية من أرض كنعان.
6. لا يعرف عنه شيء بعد المسيح حتى عام 95م، أين عاش؟ وممن تعلم؟ من صاحبه؟ وكيف كانت صلته بالحواريين.
7. إنه كتب إنجيل يوحنا في عام 95م على وجه التقريب، وكان عمره وقتئذ 77سنة. وذكر لأول مرة عقيدة الحلول والتجسم.
8. ثم أضاف رجال "أفسس" إلى ذلك الإنجيل جملة تدل على أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا بن زبدي أو تلميذ آخر كان محبوبا عند المسيح.
9. ولكن اسمه غير وارد في قائمة الحواريين الذين كان عددهم اثنا عشر.

فهذه النتائج ليست مستنبطة من كلماتنا، وإنما استنبطت من أقوال علماء النصارى الذين حاولوا أن يثبتوا أن إنجيل يوحنا ليست مزورة.

ويثبت في ضوء هذه النتائج ما يلي:

1. عقيدة الحلول غير ثابتة من المسيح (عليه السلام) ولا من الحواريين.
2. قد كتب هذه العقيدة أول مرة ضمن سيرة المسيح شخص رأى المسيح عمره 12 سنة، ولكنه لم يتعلم منه شيء.

3. والشخص الذي قدم هذه العقيدة هو مجهول منقطع الخبر يعني لايعرف عنه شيء سوى هذه المكتوبات، يعني من الطبع والأخلاق والعقيدة. ولا أنه هو الذي اخترع هذه العقيدة أو أنه سمع من شخص آخر؟ أين عاش هو؟ ما صلته بالحواريين؟

4. وحين أدخل هذه العقيدة في الإنجيل سنة 95م كان عمره 77 سنة، يعني بعد 28 سنة من وفاة بولس (الذي مات في عام 67م بالتخمين عند المؤرخين).

ومعنى ذلك أن بولس كان قد مات قبل كتابة هذا الإنجيل، وأن بولس ذكر عقيدة الحلول والتجسم في رسائله بالوضوح التام، وثبت أن الذي ذكر هذه العقيدة أول مرة هو بولس وليس يوحنا الكبير.

ولذلك وردت في الموسوعة الفرنسية بينة تامة في هذه الكلمات: إن كاتب إنجيل يوحنا بالكامل هو بولس الذي نسبه إلى يوحنا الحواري.(121).

7. إنجيل برنابا والحديث عن صلب المسيح

فلا يعترف النصارى إلا بالأناجيل الأربعة التي ذكرناها، يعني: (إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا)، وتقرها الفرق النصرانية وتأخذ بها.

ولكن التاريخ يروي لنا أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها، ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجليها، فعند كل فرقة من الفرق إنجيل يخالف ما عند الأخرى، وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في أوائل القرن الرابع الميلادي أن تحافظ على الأناجيل الصادقة- هكذا زعموا (الواقع أنهم أنكروا كل الأناجيل والرسائل التي تتعارض مع عقيدة التثليث) فاختارت هذه الأناجيل الأربعة المذكورة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك.

ومن كتب العهد الجديد التي تعترف بها الكنائس ما يزيد على سبعين إنجيلاً ورسالة منسوبة إلى عيسى بن مريم – (عليهما السلام)– والحواريين وتابعيهم..، مثل:

1. إنجيل ميلاد مريم وطفولية المسيح..، ومنه نسخة مطبوعة سنة 1832م ومحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس.

2. إنجيل توما الإسرائيلي..، وجده العلامة كوتيلييه، وتوجد منه نسختان متخالفتان واحدة بباريس، وأخرى في مكتبة فينا.

3. إنجيل جاك الأصغر..، وجده غليوم بوستل، وطبعه في بال بسويسرا سنة 1552م، ثم طُبع في ستراسبورج بألمانيا سنة 1570م. ثم جاء العلامة نياندر، فطبعه بصورة تخالف ما عند غليوم.

4. إنجيل نيكوديم أي نيقوديموس..، وكان مقبولاً ومنتشراً في أرجاء أوربا إلى القرن الخامس عشر وطُبع في إنجلترا سبع طبعات في 25 سنة بين عامي 1507–1532م، وترجم إلى الإيطالية والألمانية مراراً.

5. وإنجيل الطفولية، ويعتبر الإنجيل الخامس، وهو إنجيل منسوب لبطرس الحواري ومكتوب باليونانية، وَجَد هنري سيك في القرن السابع عشر نسخة عربية منه طبعها ونشرها في أوربا.

6. إنجيل السبعين، ينسب إلى تلامس.

7. إنجيل مارسيون، الذي تأخذ به الطائفة. المارسيونية، وهو قريب الشبه بإنجيل لوقا.

8. إنجيل الأبيونيين.

9. إنجيل العبرانيين.

10. إنجيل الناسيين.

11. إنجيل يعقوب، ويظن أنه كُتب في القرن الثاني.

12. إنجيل المصريين.

13. إنجيل التذكرة.

14. إنجيل سرن تهس.

15. إنجيل برنابا، وهو الذي بين أيدينا الآن. وغيره كثير.(122)

أما **إنجيل برنابا** فقد وُجد في مكتبة أحد أمراء أوروبا، ويُنسب إلى القديس برنابا أحد تلاميذ المسيح (عليه السلام)، عثر عليه راهب مسيحي هو الأب فرامرينو في بيئة مسيحية خلصة بعيدة عن الإسلام وبلاد المسلمين هي مكتبة بابا روما أيام وزمن البابا سكتس الخامس في نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وهذا الإنجيل يوافق القرآن الكريم في النص على وحدانية الله وعدم صلب المسيح وأنه نبي بَشَّرَ بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، والكنائس المسيحية عامة لا تعترف بهذا الإنجيل بدعوى أنه مزور؛ مع أنه مذكور في كتب القرن الثاني والثالث الميلادي، أي أنه كان مكتوبا وموجوداً قبل ظهور نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) بمئات السنين.

ويقال إنه كان كتاباً قانونياً لكنيسة الأسكندرية منذ عصور المسيحية الأولى، حيث كانت عقيدة التوحيد هي العقيدة الغالبة والسائدة في المسيحية، واستمر الحال كذلك حتى انعقاد مؤتمر نيقية، الذي دعا إلى عقده إمبراطور الدولة الرومانية قسطنطين سنة 325م، وفُرضت فيه عقيدة الثالوث وأُلغيت عقيدة التوحيد، وحَرمت الكنيسة إنجيل برنابا ضمن ما حرمت من كتب رأت أنها بعيدة عن عقيدة الثالوث.

وإذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن هناك منشوراً أصدره جلاسيوس الأول الذي جلس على كرسي البابوية سنة 492م عدَّد فيه أسماء الكتب المنهي عن قراءتها ومن ضمنها "**إنجيل برنابا**". وهذا المنشور أيضًا صدر في النهاية القرن الخامس، أي قبل ظهور نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم)، بل وقبل ولادته (صلى الله عليه وسلم) بقرن من الزمان تقريباً.

وقد أشار إلى ذلك المنشور اثنان من علماء النصرانية، هما:

1. الخوري نعمة الله اللبناني في آخر الصفحة 35 من كتاب: "**ذخيرة الألباب**"، المطبوع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية سنة 1882م.

2. كما ذكر زمن التحريم المذكور جورجي زيدان صاحب مجلة "الهلال" في أول العدد العاشر من السنة الخامسة عشرة من مجلته الشهرية بعد أن قال: "ويظن علماء الكتاب المقدس أنه -أي إنجيل برنابا- مصطنع ألفه بعض هراطقة المسيحيين في القرون الأولى للميلاد، أو محرف عن أصله لأنه يخالف الأناجيل الأخرى في بعض القضايا المهمة". انتهى بحروفه.(123)

وأما من هو برنابا؟ فإن سفر "**أعمال الرسل**" من العهد الجديد يشهد بالآتي:

أولا: إن برنابا كان من الرسل المشهود لهم بإخلاصهم للدعوة المسيحية.

ثانيا: وأنه الذي شهد أصلا لبولس بالإيمان بعد أن تخوف منه تلاميذ المسيح وحواريوه.

ثالثا: وأنه كان صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان حتى أن الروح القدس خصه بعنايته من بين الرسل والمعلمين.

ونتيجة لما تقدم نرى أنه مادامت لبرنابا هذه الأهمية من بين التلاميذ والحواريين فلا بد أن تكون له تعاليم مقننة، مما يترجح معه نسبة هذا الإنجيل إليه.

رابعاً: أما ما يظنه علماء الكتاب المقدس من أن إنجيل برنابا كتاب مصطنع فلا يقوم هذا الظن على أي أساس سليم، فضلاً عن أن وقائع التاريخ تقطع بأن المختلف هو ما اعتمده مؤتمر نيقية سنة 325م من كتب تناقض عقيدة التوحيد اصطنعت لتتمشى مع عقيدة التثليث، تلك العقيدة التي قررها المؤتمر المذكور بعد طرده لدعاة عقيدة التوحيد، وقد كانوا الأغلبية في المؤتمر

ويعلِّق الشيخ محمد أبو زهرة -رحمه الله- على ذلك بقوله: إن نسخة إنجيل برنابا التي عثر عليها وُجدت في جو مسيحي خالص فلا مظنة لأن تكون مدخولة (مدسوسة) عليهم للآتي:

1. أول من عثر عليها في خزانة كتبه رئيس ديني خطير (البابا سكتس الخامس)
2. كاشفها راهب مسيحي (الأب فرامرينو).

3. لما تداولتها الأيدي انتقلت إلى مستشار مسيحي من مستشاري ملك بروسيا.

4. ثم آلت إلى البلاط الملكي بفينا، وهو بلاط أسرة مسيحية ملكية كانت على عرش النمسا.

كما يُستبعد القول إن للمسلمين يداً في إنشائه، وهو منسوب لقديس من القديسين الذين يعترفون بإخلاصهم لدعوة المسيح (عليه السلام)، ولم يُعرف بهذا الاسم شخص سواه له مكانته الدينية، ولقد كان وجود إنجيل له أمراً معروفاً بين رجال الدين المسيحي، بدليل أن الأب فرامرينو الذي عثر عليه يقول إنه على استنكاره بإنجيل القديس برنابا.

و(أريانوس) هذا هو تلميذ بوليكارب...، و(بوليكارب) هو تلميذ القديس يوحنا أحد تلاميذ المسيح وحوارييه.(124)

ويستطرد الشيخ أبو زهرة إلى القول: بأنه من البيانات السابقة يترجح القول معها بصحة نسبة ذلك الإنجيل إلى القديس برنابا، خصوصا وأنه كان معروفاً قبل ذلك بقرون أن لبرنابا إنجيلا.

ومن لغة هذا الإنجيل يتبين أن كاتبه على إلمام تام بالتوراة والتي لا يعرفها الرجل المسيحي غير الاختصاصي في علوم الدين، فضلاً عن أن برنابا كان من الدعاة الأولين الذين عملوا في الدعوة المسيحية عملاً لا يقل عن عمل بولس طبقاً لما ذكره سفر أعمال الرسل فلابد أن تكون له رسالة أو إنجيل على الأقل.

كما يتبين مما تقدم أيضًا أن ذلك الإنجيل لم يكن معروفاً عند المسلمين في غابرهم وحاضرهم، لأن المناظرات والمجادلات بينهم وبين النصارى كانت قائمة في كل العصور، ولم يعرف أن أحداً من المسلمين احتج على مناظرة المسيحي بإنجيل برنابا، مع أن فيه الحجة الدامغة التي تجعل الغلبة للمسلم على المسيحي.(125)

ونحن نقف من هذا الإنجيل وغيره مما بأيدي النصارى موقفاً معروفاً، فقد أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم غَيَّروا وبدلوا في كتبهم، فامتزج الحق فيها بالباطل، والصدق بالكذب، وموقف المسلمين منها كالآتي:(126)

1. نحن نصدق ما وافق القرآن والسنة لأن هذه الموافقة دليل على أن الموافق لم تتناوله يد التحريف والتبديل.

2. ونُكذب ما جاء في كتبهم على خلاف القرآن والسنة؛ لأن المخالفة دليل على أن أيديهم قد امتدت إليها بالعبث والتغيير.

3. وأما ما لا يصدقه شرعنا ولا يكذبه، واحتمل أن يكون وأن لا يكون، فقد جاء فيه حديث البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها لأهل الإسلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله، وما أُنزل إلينا، وما أنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون".(127) وحكمة النهي عن التصديق والتكذيب في هذا الضرب من أخبارهم أفصح عنها حديث أبي نملة الأنصاري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وفيه: "ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم".(128)

لقد شهد "برنابا" على بطلان عقيدة الصلب، وهو أحد الحواريين ومعروف عند النصارى بابن الوعظ، واسمه يوسف، وكان يعظ الناس، وقد أنكر حادثة الصلب، كما ورد في إنجيله أن المسيح رفع ولم يصلب، فيقول: "ولما دنت الجند من يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع ورأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وعزرائيل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب". (إنجيل برنابا/ 215: 1-5) ويقول أيضًا: "ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياما، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا

في النطق وفي الوجه، فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع". (برنابا/ 216: 1-9) وهناك شواهد كثيرة – غير ما ذكرناه – في هذا الإنجيل تدل دلالة قاطعة على أن الذي صلب ليس هو المسيح، ولكنه شخص آخر اسمه يهوذا، أما المسيح فقد رفعه الله إليه، وهذا ما ذكر في القرآن الكريم.

الفصل السادس:

التحريف في الديانة النصرانية

الفصل السادس

التحريف في الديانة النصرانية

1. بولس ودوره في تحريف الديانة النصرانية

إن بولس كان يدعى قبل تنصره (شاول) كما ورد ذلك في سفر أعمال الرسل: (وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة) (أ ع: 8:4). (وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب) (أ ع: 9:1).

وقد ورد في سفر أعمال الرسل الكثير عن بولس منها مولده وجنسيته وديانته وتفصيلات أخرى لحياته، ومن خلال استعراض نصوص هذا السفر فيما يتصل ببولس يتبين التناقص والتضارب في النصوص فمرة يذكر أنه ولد في طرسوس من أبوين يهودين، فيقول عن نفسه: (أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كيلكية، ولكن ربيت في هذه المدينة). (أع: 22:3). أى أورشليم، ويذكر في مكان آخر أنه فريسى، ويصرح في إصحاح آخر بأنه روماني، ويتحدث شارل جنيبير عن شاول (بولس) قائلا: وهكذا نستطيع أن نجد تفسيرا للأمر الذي يهمنا بالدرجة الأولى وهو معرفة بولس للمبادئ الأولى في الفلسفة الرواقية وللوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين.. فقد كفاه أنه عاش سنى شبابه في هذا الوسط الذي تشبع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة هؤلاء الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي.(129)

فبولس كان اسمه شاول قبل تنصره، ومن بلده طرسوس. كان يهوديا ثم اعتنق النصرانية، ثم أخبر عن نفسه مرة أنه فريسي ومرة أنه روماني. وتأثر فكريا بالفلسفة الرواقية. -كما سنذكر-

أ. عداء بولس الشديد للنصارى

لقد كان بولس من أشد أعداء النصرانية، وقد جاء ذلك في سفر أعمال الرسل والذي خصص فيه لوقا جزءاً كبيرا منه للحديث عن بولس وفيه عبارات مفصلة تبين أنه كان شديد العداء والخصومة للنصرانية، شديد التعذيب والتنكيل بأتباعها ومعتنقيها، ومما جاء فيه (وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثّقين إلى أورشليم). (أع: 9/1-2).

وفي الإصحاح الثامن: (وحدث في ذلك اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل. وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة. وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو بداخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن) (أع: 8/ 1-3). ويصرخ بولس في رسالته إلى أهل غلاطية قائلا لهم: (فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنس إذ كنت أوفر غيره في تقليدات آبائي). (غلاطية: 1/13-14).

فبولس كان عدوا لدوداً لأتباع المسيح أنزل بهم أشد أنواع التنكيل والتعذيب باعتراف كتابهم المقدس وباعتراف بولس نفسه، ومما يؤكد ذلك أيضًا أن أتباع المسيح بعد إعلان بولس تنصره كانوا يتوجسون منه خفية، وذلك لما يعملون عنه من عدائه لهم، ففي سفر أعمال: (لما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب الطرق). (أع: 9/ 26-27).

هذا هو بولس رسول النصارى ورسول الجهاد كما يسميه القس حبيب سعيد، هذا هو بولس المخادع الداهية المنافق الذي يتلون لكل شخص باللون الذي يناسبه حتى يتمكن من بث فكره الإلحادي اليهودي.

يقول شارل جنيبيز عن بولس: (يجب أن نشير هنا إلى أن بولس لم يلتق بعيسى مدة حياته لذلك لم تكن تأملاته عن شخص الأستاذ وتعاليمه لتحدها أفاق الذكريات والواقع كما كان الحال بالنسبة إلى الإثنى عشر من الحواريين الذين بدءوا بالدعوة.(130)

وقول زكي شنودة عن بولس: أنه لم يكن من الإثنى عشر أو من السبعين رسولا. (تاريخ الأقباط جـ1 ص: 76)

ولم يذكر الأناجيل المعتمدة لدى النصارى شيئا عن بولس أو عن لقائه مع المسيح أو مع أحد من تلاميذه، بل لم يذكر في الأسفار الأخرى شيء عن ذلك إلا ما رواه لوقا في سفر الأعمال عن الحادثة التي تحول بها من حالته الأولى وعدائه للنصرانية وأهلها إلى الداعي المبشر بتعاليم المسيح.

يقول لوقا: (أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء, فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدني. فقال: من أنت يا سيد. فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده... فقال: وهو مرتعد يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب: قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن نفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب. (أع: 9/ 1- 9)

وفي نفس السفر يقص بولس بنفسه ما حدث له فيقول: "حدث لي وأنا ذاهب ومقترب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لي شاول شاول لماذا تضطهدني، فأجبت من أنت يا سيد فقال لي أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني فقلت ماذا أفعل يا رب فقال لي الرب قم وإذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل. وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق". (أع: 22/ 6-11)

وجاء على لسان بولس أيضًا: ولما كنت ذاهبا في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معي فلما سقطنا جميعا على الأرض سمعت صوتا يكلمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني صعب عليك أن ترقس مناخس. فقلت أنا من أنت يا سيد فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده. ولكن قم وقف على رجليك أني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهدا بما رأيت وبما سأظهر لك به. منقذا أياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم). (أع: 26/ 12-17)

فهذه الروايات الثلاثة متضاربة، لأننا نجد في الرواية الأولى أن المسافرين مع بولس سمعوا الصوت، ولم ينظروا النور، ووقفوا صامتين، ولم يعموا مثله. ونجد في الرواية الثانية أن المسافرين مع بولس لم يسمعوا الصوت، ونظروا النور، وارتعبوا، ومع ذلك لم يعموا مثله. ونجد في الثالثة أن المسافرين قد سقطوا على الأرض إذ فوجئوا بالنور، أما بولس فقد تلقى الرسالة فورا، مع وعد بإنقاذه من الشعب اليهودي والأمم الذين أرسل إليهم فلا يقضون عليه.

إن بولس استغل في هذه الروايات سلاح الرؤيا والذي اعتمد عليه اعتمادا كليا. فهو يذكر أنه رأى المسيح، وهو يذكر في نفس السفر أن حنانيا رأى الرب في الرؤيا يأمره بالذهاب إلى شاول، وفي نفس الوقت يرى شاول حنانيا يأتيه في الرؤيا ليرد إليه بصره، أن

حنانيا يذكر أنه رأى المسيح يأمره بالذهاب إلى شاول، فذهب حنانيا إلى شاول كي يخبره بأن المسيح الذي ظهر له في الطريق هو الذي أرسله.

فلو أن حنانيا جاءه شيء بخصوص ما حدث لكانت الرؤيا أشارت إلى ذلك خصوصا وأن الرؤيا ذكرت ما هو أقل شأنا من ذلك.

إن قصة دخول بولس في النصرانية مشكوك فيها ولا يمكن الاعتماد عليها لما فيها من التناقضات الكثيرة والروايات الملفقة.

إن بولس كان يسطو على أتباع المسيح، ويدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويرسلهم إلى السجن، لكن بأى سلطة كان يفعل بولس ذلك إن لم يكن إجراء يقوم به من قبل نفسه، لأن ما كان يفعله لا يتم إلا بواسطة موظف رسمي ينفذ تعاليم السلطة العليا، أن بولس كان يتصرف باسم رئيس الكهنة هذا أيضًا يعطينا دليلا على تناقض مصادر العهد الجديد عن شاول لأنه يخبر عن نفسه أنه فريسي ابن فريسي ورئيس الكهنة من الصدوقيين، وبين الفريسيين والصدوقيين عداوة شديدة دائما، والفريسيون: فرقة من فرق اليهود القديم. والكلمة من الآرمية ومعناها المنعزل وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخيرتين فئتى الصدوقيين والاسينيين، وكانت أضيقها رأيا وتعليما: قاموس الكتاب المقدس (ص: 674)، ففي الإصحاح التاسع من أعمال الرسل يذكر أن بولس كان ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب، وطلب من رئيس الكهنة رسائل إلى الجماعات اليهودية بدمشق لكى يكون مفوضا إذا وجد أناسا من الذين يتبعون الدين الجديد أن يسوقهم موثّقين إلى أورشليم.

إذا كان شاول لديه القوة للسطو على النصارى فما هي الضرورة للذهاب إلى دمشق، وكان لديه السلطة الرسمية فهو معين من قبل رئيس الكهنة للسطو على النصارى، إنه ما كان إلا عميلا لليهود وجاسوسا لرئيس الكهنة.

ب. شخصية بولس

إنه مما ساعد بولس على بث فكره واقتناع النصارى به وتصديقهم لرؤياه ما كان يتصف به من صفات، منها الدهاء والمكر والحيلة، فكان يتلون لكل شخص باللون الذي يناسبه ويتفق معه.

فبولس يدعى للبعض أنه يهودي ولآخرين أنه فريسي وللبعض الآخر أنه روماني، يساير الوثني وغير الوثني ليربح الجميع.

ج. بولس وتلاميذ المسيح

إن بولس يوم أعلن أنه تنصر وصار من أتباع المسيح لم يصدقه أحد، وذلك لِمَا كان يقوم به تنكيل بهم وتعذيب لهم، ولم يدافع عنه أحد إلا برنابا بل وقدمه إلى تلاميذ المسيح، "ولما جاء شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثه كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع". (أع: 9/ 26- 28)

كما أن بولس لم يصعد إلى أورشليم ليلتقي بتلاميذ المسيح إلا بعد ثلاث سنوات من تنصره وهناك التقي ببطرس وقضى معه خمسة عشر يوما. (غلاطية: 18/1)

مما لا مراء فيه: أن اجتماعه سرا وعلى انفراد بالمعتبرين ليعرض عليهم مبادئه الجديدة قبل أن يذيعها بين الأمم. هو دليل على أن المبادئ الجديدة تختلف تماما عن المبادئ التي جاء من أجلها المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) وإلا لماذا صده ولماذا انفرد ولماذا على انفراد، وقد قال المسيح بن مريم إنه كلم الناس بصراحة ووضوح؟(131)

وممن أخلص لبولس الود "لوقا" فقد كان حواريا لبولس وكان خادما له وأحله محل المسيح وسفر أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا ما هو إلا إفراغ لتعاليم بولس ومدح بولس لوقا فكان يقول عنه (إنه الطبيب الحبيب)، (1كو: 4/ 14).

وهكذا تبادل بولس ولوقا المدح والمنفعة فأصبح لوقا في الصف الأول إذا أصبح من كتبة الأناجيل مع أنه هو وأساتذه لم يريا عيسى قط، وأصبح الطبيب والحبيب، وكافا لوقا أستاذه لم يريا عيسى قط، وأصبح الطبيب الحبيب، وكافأ لوقا أستاذه على احتفائه به فأصبح خير داعية لأفكار بولس.(132)

ولقد رافقه لوقا في معظم جولاته التبشرية. ووضع لوقا سفرين يكمل أحدهما الآخر دوَّن في الأول، ما عرفه عن سيرة يسوع وتعاليمه كما دوَّن في الثاني بعض الجوانب من حياة الكنيسة مركزا على إسهام معلمه بولس في هذه المرحلة التاريخية الهامة في السفر المعروف بأعمال الرسل.(133)

أما برنابا الذي قدم بولس لأتباع المسيح) وهو الذي كان يرسله تلاميذ المسيح مندوباً عنهم ليعلم الآخرين ما جاء به المسيح، وهو –أيضًا– الذي صاحب بولس في كثير من رحلاته التبشيرية. إلا أن بولس ما لبث أن تشاجر معه ثم افترقا بعد تبين أن لكل منهما آراءه الخاصة في التعاليم المسيحية والدعوة إليها.

جاء في سفر أعمال الرسل: "حصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص. وأما بولس فاجتاز سيلاً وخرج مستودعا من الأخوة إلى نعمة الله فاجتاز سورية وكيلكية يشيد الكنائس". (أع: 15/ 29- 41)

فبولس التقى ببطرس بعد ثلاث سنوات والتقى بيعقوب بعد أربع عشرة سنة، ثم صاحب برنابا في رحلاته التبشيرية هو ومرقس (يوحنا) وما لبث أن فارق كل منهما، ولم يكن وفيا لتعاليمه إلا لوقا الذي صرح بها في إنجيله وسفر أعمال الرسل.

فبولس لم ير المسيح، ولا سمع منه كلاما ومع ذلك يدعى أنه بينه وبين المسيح صلة مباشرة هذه الصلة التي دخل بها النصرانية وسكبت في نفسه تعاليمها.

فإذا كان بولس لم يلتق بالمسيح ولم يأخذ عنه التعاليم ولم يلتق بتلاميذه إلا بعد ثلاثة سنوات ثم ما لبث أن فارق من عرفه منهم، فمن الذي أخذ عنه بولس تعاليمه التي بثها في الأرجاء منسوبة إلى المسيح؟.

إن بولس لم ينشر تعاليم المسيح التي جاء بها إلى الناس من توحيد لله ودعوة إلى الزهد والمسامحة والاقتصار على دعوة بني إسرائيل. إنما نشر فكره الإلحادي الذي كان يعتقده من خلال الثقافة التي تزود بها وقت أن كان العدو اللدود للنصرانية والتي استغل تنصره لنشر هذا الإلحاد بل كان هذا هو السبب الرئيسي لإبعاد تلاميذ المسيح عنه وقطع برنابا ومرقس رحلاتهما التبشيرية معه لما وقفا على حقيقة ما يدعو إليه، والذي كان مخالفا فيها لما كان يدعو إليه المسيح (عليه السلام)، ولما كان يَعْلَمُه التلاميذ.

يقول ول ديورانت عن بولس "كان أبوه من الفريسيين ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشيعة الدينية المتحمسة".(134)

د. تحريف بولس في عقيدة النصرانية

مما لاشك فيه أن النصرانية الصحيحة التي جاء بها عيسى (عليه السلام) والتي كانت تدعو إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين والإيمان بكل ما جاء به من أمور تشريعية وأخلاقية. مثلها مثل أى ديانة جاء بها أى رسول من عند الله تعالى.

وظلت تعاليم المسيح متبعة في عهده ومن بعده إلى أن دخل بولس في النصرانية فحرف ما جاء به المسيح وحذف وأضاف إلى أن تغيرت معالم الديانة في جميع جوانبها العقائدية والتشريعية والأخلاقية.

لقد دعا بولس في جانب العقيدة إلى ألوهية عيسى وبنوته، ودعا إلى عقيدة الصلب والخلاص والفداء، فدعا إلى ما لم يدع إليه المسيح، وقد جاءت الرسائل التي كتبها متضمنة لهذه العقيدة بل وتأثر بهذه التعاليم البولسية كتاب الأناجيل فصرحوا بمثل ما صرح به بولس

فمرة يذكر بولس أن المسيح إله (كائن في الكل إلها مباركا إلى الأبد) (رومية: 5/9) ومرة يسوى بينه وبين الأب قائلا (سلاما من الله أبينا والرب يسوع المسيح) (رومية: 7/1) ويذكره ضمن الثالوث المقدس عند النصارى (نعمة ربنا يسوع المسيح وهبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين). (1كو: 13/ 14)

ويذكر أنه كان للمسيح وجود قبل الزمان الذي ظهر (لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كان المسيح)، (1كو: 4/10) (ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة، مولدا تحت الناموس، ليفتدي الذين الناموس لننال التبني). (غلاطية:4/4-5)

ويذكر بولس أن للمسيح دورا في خلق الأشياء في السماوات والأرض والتي من أجله وبه خلقت لكن لنا إله واحد الأب منه جميع الأشياء ونحن له، رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به. (1كو: 6/8) (الذي هو صورة الله غير منظور بكر كل خليقة فإن فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء فيه يقوم الكل). (1كو: 15/17)

فبولس مرة يذكر أن المسيح إله، ومرة أنه ابن الله، ومره ضمن الثالوث، وأخرى يذكر فيها أنه الخالق للأشياء، وهذا يدل على أنه ذو فكر مضطرب في المسيح (عليه السلام).

ومع أن أسفار العهدين: القديم والجديد تتحدث عن بنوة المؤمنين لله، بمعنى المحبة والرعاية من الله لخلقه، لا بالمعنى الذي يقصده بولس، لكن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله، جاءت -كما يقول هنتر- منقطعة النظير، فهي شيء يختلف تماما عن لغة أسفار العهد القديم ولغة الإنجيل ورسائل التلاميذ، لأنها تقوم على الألوهية الأزلية للمسيح.

إن بولس هو الداعي الأول إلى ألوهية المسيح، ألوهية حقيقية لا مجازية، ولكن ما هو الدافع وراء ذلك؟

لقد سبق الحديث عن بيان العداء الشديد الذي كان بين بولس وأتباع المسيح، وكيف كان يتخذ كل السبل للقضاء على دين المسيح، وكيف استتر بولس تحت إعلانه اعتناق النصرانية ليتمكن من هدمها من الداخل وكان من الدوافع التي دفعت بولس إعلان هذه العقيدة ما تزود به من ثقافة وثنية تربى بين أحضانها لم تظهر في هذه الثقافة فكرة الإله الواحد الخالق للكون كما كان فكر بولس مزيجا من الأفكار المختلفة.

وعلى هذا بدأ بولس يعلم ويبشر بمسيحية جديدة استمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين والإغريق وبعض تعاليم اليهود فقد جاء لأول مرة بفكرة التثليث وفكرة أن المسيح ابن الله وأنه نزل ليضحى بنفسه تكفيرا لخطايا الإنسان وأنه صعد ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر.(135)

ويعترف النصارى بأن بولس أدخل على علم اللاهوت ما ليس منه، يقول حبيب سعيد: (ولا نكران أن "بولس" أدخل علم اللاهوت المسيحي الشيء الكثير من اليهودية واختبارات اليونانية).(136)

2. بولس وعقيدة الصلب والفداء

إن بولس هو أول من دعا إلى عقيدة الصلب والفداء والتي لم تكن معروفة عند النصارى أتباع المسيح (عليه السلام)، بل كانت معروفة عند أهل الوثنية والتي تعرف بعقيدة "الآلهة المنقذين" ولقد أثرت هذه الثقافة الوثنية في فكر بولس، فتبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروج لها في رسائله تلك التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح (عليه السلام) بأكثر من خمس عشرة سنة، لقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على

ألا يعرف من النصرانية غيره وصرخ بذلك فقال: (لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا.). (1كولوس: 3/2)

ويقول: "أعرفكم أيها الاخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه... فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب". (1كو: 15/ 3-3)

ويتعلل بولس فيما دعا إليه من اعتقاد صلب المسيح كفارة عن خطايا البشر بعلة واهية يدعى فيها أن الناموس الإلهي ليس فيه بر ولا عدل، (لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب). (غلاطية: 21/2)

إن تعاليم بولس حول العقيدة تعاليم باطلة صادرة عن قلب حقود ضال مضل جاهل بحقيقة نفسه قبل أن يجهل حقيقة الإله.

في الحقيقة لمشكلة (الكلمة) أو (الابن) تاريخ بعيد سابق على قيام المسيحية، يمتد من "هيرقليطس" إلى المسيحية.

إن "قصد "هيرقليطس" من الكلمة (Logos) القوة العاقلة المنبثة في جميع أنحاء الكون، وليس العالم المرئي إلا جانبا رمزيا ظاهرا يختفي وراءه النصف الآخر من حقيقة الكون، هذه الحقيقة هي الروح المقدسة للعالم المتجلية في الدورة اللامتناهية من الحياة والموت وفي التغير المستمر في ظواهر الكون، فاللوجوس يهيمن على كل شيء كاف لتفسير كل شيء، إنه نظام العالم والانسجام الخفي في الوجود.(137)

واستخدم اللفظ بمعنى مشابه تحت اسم العقل أو النونس (Noons) في فلسفة أنكاغوراس.

وتطورت الفكرة في الفلسفة الرواقية إذ قصدوا العقل الكلي والمدبر للكون، وقد ميزوا بين العقل الكامن (أو بالقوة) والعقل الظاهر (أو بالفعل) المتجلي في الموجودات، وقد أصبح لهذا التمييز تأثير على كل من الفلسفتين: اليهودية والمسيحية من حيث أن اللوجوس

في الفلسفة الرواقية ليس إلا الفكر الباطن الذي يتخذ طريقه إلى الخارج بالكلمة، وقد استخدم كل من فيلون اليهودي والآباء المسيحيين (الكلمة) بنفس هذه التفرقة بين الحكمة أو العلم وبين الكلمة أو اللفظ، وقد وصفها فيلون بأوصاف متعددة، فسماها: الواسطة بين الله والعالم- الموجود الذي خلق آدم على صورته- حقيقة الحقائق، ولم يكن بحث اللاهوت اليهودي في (الكلمة) مجرد امتداد لبحث مسائل الفلسفة اليونانية إذ ذكر اللفظ في التوراة بما يفيد كلمة الله التي بها كان العالم، وقد أشار اليهود تحت اسم (ممرا: Memra) التي لزمت عنها وفقا للعهد القديم أفكار الخلق والوحي والعناية، وفي توفيق فيلون بين الدين والفلسفة- والفلسفة اليونانية في كثير من معالمها مادية كما أن الروح اليونانية روح تجسيم وتشخيص، فوصفها -أى فيلون- بأنها الابن الأكبر للحكمة والإنسان الأول وأول الملائكة، ولكن ذلك كان منه قولا مجازيا شاعريا أكثر منه حقيقيا عقائديا متنسقا في ذلك مع اللاهوت اليهودي.

ثم أصبح ال(لوجوس) الابن الأول لله وصورته والروح السارية في العالم والواسطة في خلق العالم وتشخصت الكلمة في صورة المسيح، فبالابن وعن الابن وفي الابن ظهر كل شيء، إنه أول الموجودات في الرسالة الرابعة من رسائل بولس، ويكاد يتفق الكلمة في إنجيل "يوحنا" مع ما ذكره عنها فيلون إذا استثنينا أن "يوحنا" يعني بالكلمة الأقنوم الثاني أو المسيح بينما يطلقها فيلون إطلاقا، ولا يحصر مدلولها في شحص بعينه، ولا يتصورها متجسدة في إنسان من لحم ودم، غير أن تصور فيلون للوجوس كان شائعا لدى كتاب الأناجيل.(138)

وفي النهاية نقول: إن بولس ظل على هذه الحالة من سفره إلى البلاد ينشر تعاليمه التي حرّف بها وغير دين المسيح (عليه السلام) إلى أن قتل في عهد نيرون في روما عام 64م.(139)

ولقد لقي بولس معارضة أثناء رحلاته من اليهود الذين كانوا يعلمون أن ما يدعو إليه مخالف لما جاء في شريعة التوراة التي جاء بها موسى (عليه السلام) - واتبعها عيسى من بعده... ولكن مع مرور الوقت وتعاقب الأجيال ساد هذا الفكر الباطل وصار ديناً يدين به

النصارى وأخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية وأخذت الحقائق تتباعد لتفتح الطريق للأوهام، وأخذت المسيحية بذلك تتباعد شيئا فشيئا عن الدين السماوي العظيم الذي أتى به السيد المسيح (عليه السلام) من لدن الرحمن، يقول القس بولس إلياس اليسوعي: لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما، ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس في مختلف الطوائف فما فرضت صيغة موحدة لصلاة.(140)

ولكن كيف أعطى هؤلاء لأنفسهم الحق في التحليل والتحريم في شرع الله وهذا من حق الله تعالى وحده وبأمره هو؟ ولكن هؤلاء يبررون الخروج على تعاليم المسيح بقولهم إن ما أجراه التلاميذ من تحليل هذه الأمور المحرمة كان بإلهام الروح القدس ويصرح بذلك بطرس (وقال لهم أيها الرجال الإخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفِيّ يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون، والله العارف القلوب يشهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضًا). (أع: 15/ 7-8)

3. أقوال الكتّاب النصارى عن بولس

قول "وليم باتون":

لم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعف الرسالة من هذه الناحية وعرف أنها لليهودي والأممي والبربري واليوناني والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز، ومن الواضح للذي يقرأ رسائل بولس أن بولس لم يورد دليلا واحدا ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو وبنات أفكاره، شأنه في ذلك شأن التدليل على عدم ضرورة الختان وعلى كثير من التعاليم.(141)

قول حبيب سعيد:

لا نكران أن "بولس" أدخل على علم اللاهوت المسيحي الشيء الكثير من اليهودية والاختبارات اليونانية، ولا نكران أنه قد حظى بِبْعد نظر دقيق حاد في فكر المسيح أكثر من سائر التلاميذ الأولين. ويمكن القول إن "بولس" اللاهوتي يرسم للمسيح صورة تختلف نوعا عن صورته في سائر الإناجيل، ولكن بولس المسيحي هو صاحب الفضل الكبير في وضع أركان المسيحية الأولى.(142)

قول محمد مجدي مرجان:

"يتحدث القديس بولس رسول المسيحية عن نظريته بكل صراحة ووضوح إنه يتغير ويتلون ويتحول مع كل اتجاه إنه يدعى لليهود أنه يهودي وللوثنين أنه وثني، وللملحدين أنه ملحد، إنه يمثل لكل جماعة ولكل فرد ما يتفق مع هواهم ومشيئتهم كل ذلك ليربح الكل للمسيحية، يربحهم أسماء وليس فعلا، إنه بدلا من أن يغيرهم فهو يتغير من أجلهم بل ويغير التعاليم السماوية في سبيل إرضائهم وتورد الأناجيل وقائع ومواقف ادعى فيها بولس تارة أنه يهودي وتارة أنه فريسي، وتارة أنه روماني وهكذا".(143)

قول "تولوستوى" (أديب وكاتب روسي):

"إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه هو أن تبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار، تحت طبقة كثيفة من ظلام، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذي لم يفهم تعاليم المسيح، بل حمله على محمل آخر ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهد القديم".(144)

قول زكي شنوده:

"كان في بداية الأمر معاديا للمسيحيين وهو كان يسمى شاول حتى ظهر له يسوع... مع أنه لم يكن من الإثنى عشر أو السبعين رسولاً".(145)

يقول "ويلز":

"راح بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس: كان ربا مات ليبعث حياة وليمنح الناس الخلود... وراح بولس يقرب الناس إلى دعوته التي تتناسب مع بيئته وثقافته حتى أذهب بدين المسيح وأتى بمسيحية جديدة من عند نفسه".(146)

فهذه هي شهادة الكتّاب النصارى على بولس سواء كانوا من الغرب أو من الشرق وشهد شاهد من أهلها – وليس بعد شهادتهم من تعليق، فإنهم يصرحون بأن بولس نقل الديانة من الوحدانية إلى الوثنية المثلثة، المؤلهة للبشر، ومن ديانة إلهية إلى ديانة بشرية أرضية، وكيف غير وبدل في العقيدة والشريعة إلى أن صارت المسيحية إلى ما هي عليه الآن.

4. قسطنطين ودوره في تحريف الديانة النصرانية

وقد حدثت حادثة عظيمة للنصرانية، يجب أن يسجلها كل مؤرخ وينوه بها، هي اعتلاء النصرانية على عرش رومة الوثنية، وكان ذلك بجلوس قسطنطين الذي اعتنق النصرانية على سرير الأباطرة سنة 305م فانتصرت فيه النصرانية على الوثنية، ونالت فجأة ما لم تكن تحلم به من ملك عريض ودولة مترامية الأطراف وكلمة لا تعلوها كلمة. ولما كان قسطنطين إنما توصل إلى الملك على جسر من أشلاء النصارى وأنهار من دمائهم التي أريقت في الذب عنه والنصر له، عرف لهم الجميل وبذل لهم وجهه، ووطأ لهم أكتافه وقلدهم مفاتيح ملكه.

إلا أن النصارى انتصروا في ساحة القتال، ولكنهم انهزموا في معترك الأديان، ربحوا ملكا عظيما وخسروا دينا جليلا، لأن الوثنية الرومية مسخت دين المسيح ومسخ أهله، وكان أكثر مسخا له وتحريفا هو قسطنطين الكبير حامي ذمار النصرانية ورافع لوائها. كما يقول (درابر):

"دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين، ولم

يخلصوا له يوما من الأيام، وكذلك كان قسطنطين فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلا في آخر عمره.

إن الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها، ونشأ من ذلك دين جديد تتحلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء.

وإن هذا الإمبراطور الذي كان عبدا للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين–النصراني والوثني– أن يوحدهما ويؤلف بينهما، حتى إن النصارى الراسخين أيضًا لم ينكروا عليه هذه الخطة، ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طمست ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة.(147)

وهكذا تطورت وتغيرت العقائد المسيحية بعد تلقيحها بالعقائد الوثنية القديمة، والكلام في العقيدة وتطورها يتقاضانا أن نسارع إلى تبديد وهم يسبق إلى الأذهان.

ذلك أن العقائد والعبادات عندنا لا تتحمل زيادة أو نقصان، ولا تخضع لتطور يتقدم بها إلى الأمام أو يتقهقر بها إلى وراء. ولا مجال لفكر إنساني يضفي عليها شيئا من عنده أو يختصر منها شيئا بجهده. إن أصول الإيمان وأركان العبادات (ثابتة) أتت من لدن رب العالمين جل شأنه. وبقيت إلى يومنا هذا كما كانت يوم جاءت، وفيما يتصل بالعقائد الإسلامية لم يزعم أحد أن حقائقها تغيرت أدنى تغير في هذا القرن عما كانت عليه في القرن الأول.

فالقرآن الذي تم (تدوينه) أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو وحده مصدر العقائد، وموطن اليقين. وأسلوب القرآن في تقرير العقائد يمتاز بالوضوح المطلق، ويتسم بموافقته لبداهة العقل، واستعصائه على المتناقضات والشبهات.(148)

خاتمة

وبعد هذه الدراسات والمناقشات الطويلة نقول:نحن ذكرنا في الفصل الأول نظريات فلاسفة اليونان القديم في تصور الإله وألوهيته، فمعنوية فكر سقراط العالي كانت أرفع من سقامة الفكر عند عامة الناس، فلم يستطع أن يتفق مع عبادة الأصنام، فظهر اعتقاده في التوحيد منزها من أي شائبة من شوائب التجسم والتشبه. يذكر مولانا أبو الكلام آزاد أن سقراط كان متهما بعدم التزامه ديانة عامة الناس في اليونان، ولكن روح فكره العالي لم تستسلم للفكر الضيق القاصر لعصره، فتناول كأس السم بالصبر والاستقامة ولم يتردد ولم يستسلم أمام الباطل. وكان آخر كلامه عند احتضاره الموت: "إنه يرحل من هذه الدنيا الدنيئة إلى عالم أعلى".

فقام أفلاطون بتدوين بحوث سقراط الفلسفية الحكيمة باسم (محاورة)، وقام بتقديمها بشكل مبادئ كاملة رتبها في شكل الكليات والأصول الجامعة عن طريق تحاليله المنطقية، حيث أنه وضع أساس بحوثه النظرية والفلسفية على تلك الكليات (Abstracts) فلم تتجرد عنده أية قضية من قضايا عصره – سواء كانت تتعلق بنظام الحكم أو بوجود ذات الله – من لباس الفكر والفلسفة: (IDEA).

حاول أفلاطون أن يتجاوز هذا الحد في الكشف عن أبعاد الخير بجوانبها المختلفة، ولكنه لم يستطع أن يضيف شيئا جديدا إلى ما جاء به أستاذه سقراط من نظريات في صفات ذات الله المطلق (النفس الكلية) يعني أن سقراط وأفلاطون كليهما قاما بوصف النفس الكلية بالخير والجمال المطلق، ثم جاء أرسطو (ARISTOTLE) الذى أراد أن يضع الفلسفة في دائرة المحسوسات والمرئيات بعيدا عن تصور سقراط الروحى للنفس، فقسم الأصل العاقل إلى العقل الأول والعقل الفعال في تصور الذات الإلهية، أي الذات التي وصفها سقراط وأفلاطون بالخير والجمال المطلق، وصفها أرسطو بالعقل، وتوقف عند هذا الحد. ف (الخير والعقل) خلاصة

الفلسفة اليونانية في الإله وألوهيته. فمحاورات أفلاطون الواردة في (الجمهورية: REPUBLIC) مهمة جدًا لمعرفة تصور سقراط (للصفات الإلهية) بالوضوح.

ثم تناولنا نظرية أفلاطون وأرسطو في تصور وجود ذات الله تعالى. إن فلاسفة اليونان قد وصلوا في مباحثهم إلى وجود إله، ولكن رؤيتهم في الله لا يختلف عن رؤيتهم في العالم، لأنهم يرون بأن رب الكون والعالم حقيقة واحدة كما ذهب إليه الإيليون أو هو المثال الأعلى كما قال أفلاطون: "إن الذات الإلهية هي محل جميع المثل"، وقد أخضع إلهه للمثل، ولم ير فيه أكثر من أنه كائن متألف من عدة مُثُل"، أو أن الله في نظريته "ليس الصانع شخصا قائما بذاته، ولكنه يمثل ما للمثل من قدرة علية في المادة"، "فالله الصانع من حيث هو علة فاعلية تطبع صور المثل في المادة على نحو يصعب وصفه، وهو النموذج من حيث هو علة نموذجية تحتذى، وهو الجمال والخير من حيث هو علة غائية تحب وتطلب". "فالإله عند أفلاطون علة أساسية، وإذا لم يكن هو الخالق المنشيء فهو على الأقل المدبر المنظم". "يرى أفلاطون أن الإله ليس خيرًا فحسب، وإنما هو الخير ذاته، وهو عنده منزه عن الحركة، لأنه بقدر ما يكون الموجود بعيدا عن الحركة يكون سالما عن التغير، وبقدر ما يكون كذلك يكون أكثر كمالا، وهو أزلي وأبدي، لأن الزمان ليس إلا صورة متنقلة من صور الكائنات، ولا يمكن أن تنعكس على هذا الإله العظيم، فتحد وجوده بأي حال". وأما بقية المحامد والخصائص الكاملة، فيرى أفلاطون أنه ليس في حاجة إلى أن يبرهن على ثبوتها للإله، إذ هي بالضرورة لا تنفك عن وجوده، لأنه لا يكون إلها حقًا إلا إذا كان كاملا من كل وجه، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا أثبتت له جميع الخصائص الكاملة.

وكذلك قمنا بإلقاء الضوء على مذهب أفلاطون الجديد لفلاسفة الإسكندرية. إن مذهب أفلاطون الجديد (Neo-Platonic) لفلاسفة الإسكندرية ظهر في القرن الثالث الميلادي، وكان مؤسس هذا المذهب (أمونيس سكاس) (Ammonius siccas) وكان خلفه

أفلاطينس (Plotinus) وكان تلميذه (فورفيرس (Porphyra) الذي كان يعتبر الشارح الأكبر لأرسطو في عصره، الذي أدخل مبادئ الأفلاطونية الجديدة في الفلسفة المثالية لأفلاطون.

فوصل أفلاطينس إلى ما وصل إليه سقراط وأفلاطون في وصف الحقيقة بأنه "الخير" ولكنه توقف عند هذا الحد، ولم يقبل أي إضافة خيالية جديدة إلى "الخير" لأن أي إضافة جديدة من الخيال يكون فيها شيء من النقص، حتى أنه لم يقبل بأن يصفه بالعقل الأول كما ذهب إليه أرسطو في اكتشافه العقول المجردة، وعبر عن علة العلل بالعقل الأول. فقال أفلاطينس: فلا تقول بأنه (عقل)، لأنك إذا قلت لقسمته. ولكن لماذا نسميه (بالوجود) و(بالخير) مادام هو منزه عن جميع الصفات؟ فيرد بنفسه على هذا السؤال ويقول:

"إذا قلنا بأنه "الخير" فليس الهدف منه هو تشخص ذاته بهذا الوصف الذي له وجود بداخل ذاته، وإنما نريد بهذا التعبير أنه "مقصد" و"منتهي" ينتهي إليه كل شيء، فلهذا الاصطلاح غرض معين، وكذلك إذا قلنا بأنه متصف "بالوجود" فبهذا نريد أن نضعه خارج حدود العدم، لأنه وراء كل شيء، حتى أنه فوق كل التصورات للوجود".

فيمكن تلخيص نظرية (كليمنيت) الإسكندرية في عبارة موجزة كما يلي:

إنه قال: "لا يمكن التعرف على ما هو في كنه ذاته، وإنما يمكن ذلك بالتعرف على أنه ليس كمثله شيء"، فلم يبق أمامه طريق سوى السلب والنفي عن جميع صفاته، لأنه أغلق جميع طرق الإيجاب والإثبات.

إن حكماء اليهود في العصور الوسطى اختاروا هذا المذهب الأفلاطوني الجديد. فكان موسى بن ميمون (المتوفي: 605 م) ينكر وصفه بالموجود، لأنه كان يرى أننا حين ننطق هذه الكلمة نشعر بأن ظلال صفات الموجودات المخلوقات تغطى شعورنا مباشرة، وذات الإله منزهة من هذه الصفات كلها. حتى أنه رفض أن يقول بأنه "وحده لاشريك له" لأن تصور (الوحدة) و(عدم الإشراك) أيضًا لا يخلو من تصورات النسبة الإضافية. فمذهب ابن ميمون لم يكن سوى صدى للمذهب الأفلاطوني الجديد.

فهذه هي الصورة للإله في التصورات القديمة عند فلاسفة اليونان القديم ومدرسة الإسكندرية والفلسفة الهندية فقد تناولناها بإيجاز، لأن لها صلة جوهرية بالموضوع، ولأنها مهمة جدًا لدراسة الفصول الآتية الخاصة بصورة الإله الواحد في اليهودية والنصرانية، ولدراسة صلة التأثير والتأثر بين الديانات القديمة والعهد الجديد في بيان وصف الإله الواحد عند الشعوب والأجيال اللاحقة.

وذكرنا في الفصل الثاني خلفية تاريخية عن بني إسرائيل، وبدأنا الحديث بتعريف بني إسرائيل وقلنا إن إسرائيل كان يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام)، كان له 12 ولدا، فأسرته كانت تسمى أسرة بني إسرائيل، التي اصطفاها الله للنبوة في العهد العتيق، وبعث فيها مرسلين عددهم لا يعد ولا يحصى وموطنها الأصلي كان في مناطق فلسطين، إلا أن بني إسرائيل اضطروا إلى أن يعيشوا كمماليك مستعبدين في يد الملوك الفراعنة في مصر، وذلك بعد هجمات العمالقة المتواصلة واحتلالهم تلك المناطق من فلسطين، ثم قام موسى (عليه السلام) بإنقاذهم من عبودية الفراعنة، إلا أنهم لم يتمكنوا من استرداد فلسطين من العمالقة وموسى (عليه السلام) قد مات، ثم جاء يوشع وبعده كالب (عليه السلام)، وقام يوشع (عليه السلام) في عهده بتحرير منطقة واسعة من فلسطين من احتلال العمالقة عن طريق الجهاد، إلا أن بني إسرائيل لم يكن في حظهم الاستقرار، فكانوا يعيشون مثل العرب الذين كانوا يحملون بيوتهم على أكتافهم بحثا عن الماء والكلأ، وكانت حياتهم شبه حياة قبلية بعيدة عن المدنية. والذي كان ينهى النزاعات فيما بينهم على أساس قوانينهم القبلية كانوا ينظرون إليه بنظر الاستحسان، وإذا وجدوا فيه قدرات عسكرية عينوه أميرا لجنودهم، وكانوا يسمونه "قاضيا"، وكتابهم "قضاة" مليئ بقصص هؤلاء القضاة. ولذلك يسمون ذلك العهد "عهد القضاة."

وقد نجح بنو إسرائيل في الدفاع عن الهجمات من الخارج، إلا أنهم وقعوا مغلوبين مقهورين في يد الكنعانيين، ففرض الكنعانيون سيادتهم على رقعة واسعة من أرض فلسطين،

ودامت سيادتكم عليها حتى عهد داود (عليه السلام). وأخيرا بعث الله صموئيل رسولا إلى بني إسرائيل، فعرضوا عليه أن ينقذهم من معاناة الحياة القبلية، ويدعو الله ليجعل فيهم ملكا ينظم شؤون حياتهم، حتى يواجهوا الفلسطينيين. فتم تعيين واحد منهم ملكا اسمه (طالوت) كما ورد في القرآن، إلا أنه ذُكِرَ في كتبهم باسم (ساول) أو (صموئيل). فواجه "طالوت" الفلسطينيين، وكان داود (عليه السلام) شابا اشترك في جيش طالوت مصادفة. فطلب واحد من جيش الفلسطينيين اسمه (جالوت) المبارزة من داود (عليه السلام)، فقتله داود، فزادت شعبيته في بني إسرائيل، حتى عينوه ملكا لهم بعد (ساول). ومنح الله (سبحانه وتعالى) ملكا لبني إسرائيل الرسالة أول مرة. فاسترد بنو إسرائيل الأراضي المحتلة من فلسطين كاملة في عهد داود (عليه السلام). وجاء بعده سليمان (عليه السلام) عام 974 ق.م. وأحكم أركان سلطنة بني إسرائيل. وبنى بيتا بأمر الله عرف بالقدس، وسمى دولته باسم جَدِّه "يهوداه" إلا أن ابنه "رحبعام" أخذ زمام أمور المملكة بعد وفاة والده سليمان (عليه السلام) عام 937 ق.م. إلا أنه لم يكن أهلا ليمسك زمام أمور المملكة، فقضى على سمعة المملكة الدينية، بل أضر استحكامها السياسي ضرراً بالغا. حتى ثار عليه خادم سابق لأبيه سليمان (عليه السلام)، وأسس مملكة مستقلة باسم (إسرائيل). وانقسم بنو إسرائيل بين دولتين: (إسرائيل) في الشمال، عاصمتها "سامرة" (Somaria) و"يهودية" في الجنوب عاصمتها (يروشلم) ثم دارت بينهما سلسلة طويلة من الخلافات السياسية والمذهبية التي دامت حتى غارة (بخت نصر). وبدأت تنتشر فيهما عبادة الأوثان شيئا فشيئا، فبعث الله فيهم الأنبياء والمرسلين، ولما تجاوزت انحرافاتهم كل حد، سلط عليهم الله (سبحانه وتعالى) (بخت نصر) ملك بابل، الذي شَنَّ على (يورشلم) عدة غارات في عام 586 ق.م. حتى دمرها في الغارة الأخيرة تدميرا تامًا، على إثرها أسر الملك "صدقياه" كما أسر هؤلاء اليهود الذين نجوا من القتال، وذهب بهم إلى (بابل). فعاش هؤلاء اليهود حياة المستعبدين المستضعفين لمدة طويلة.

وسلطنة إسرائيل كانت قد دمرت على أيدي الآسوريين قبل يهوداه. وكانت قد قلت وتضاءلت خلافاتهم المذهبية إلى حد كبير، ولكن لم يكن في نصيبهم قيامُ دولة. فعاش

بنو إسرائيل جميعًا صاغرين وخاضعين لملوك من غير رضاهم منذ عام 400 ق.م. ثم تسلط عليهم الإسكندر الأكبر في عام 332 ق.م. فقاموا بترجمة التوراة ترجمة يونانية في تلك المدة، وتعرف تلك الترجمة باسم الترجمة السبعونية (Septuagint) (للعهد القديم) قام بها 72 عالما يهوديا في 72 يومًا.

قال أبو الحسن علي الحسني الندوي في تعريف اليهود: "وكانت في أوربا وآسيا وإفريقيا أمة، هي أغني أمم الأرض مادة في الدين، وأقربها فهما لمصطلحاته ومعانيه، أولئك هم اليهود، ولكن لم يكونوا عاملا من عوامل الحضارة والسياسة أو الدين يؤثر في غيرهم، بل قضي عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم، وأن يكونوا عرضة للاضطهاد والاستبداد، والنفي والجلاء، والعذاب والبلاء. وقد أورثهم تاريخهم الخاص وما تفردوا به بين أمم الأرض من العبودية الطويلة والاضطهاد الفظيع والكبرياء القومية، والإدلال بالنسب، والجشع وشهوة المال وتعاطي الرباء، أورثهم كل ذلك نفسية غريبة لم توجد في أمة وانفردوا بخصائص خلقية كانت لهم شعارا على تعاقب الأعصار والأجيال، منها الخنوع عند الضعف، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة، والختل والنفاق في عامة الأحوال، والقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله. وقد وصفهم القرآن وصفا دقيقا وعميقا يصور ما كانوا عليه في القرنين السادس والسابع من تدهور خلقي، وانحطاط نفسي، وفساد اجتماعي، عزلوا بذلك عن إمامة الأمم وقيادة العالم.

وأما اليهودية فهي ديانة وأسرة، يعني أن اليهودي معناه كل من ينتمي إلى أسرة يهودا الذي كان من إخوة يوسف (عليه السلام)، وإله اليهود هو إله أسرة يهودا من بني إسرائيل، فكان نطاق هذا التصور لإله محدودا جدًا، وعلى الرغم من أنه بدأ يتسع بالتدريج، ولكن ملامح الاختصاص الأسرى الرئيسية لإله بني إسرائيل في تصورهم قد ظلت باقية في لون من الألوان، وشكل من الأشكال الأسرية والجغرافية عبر العصور حتى طلوع الإسلام. وأما من ناحية التجسيم والتنزية، فكان الإله عندهم يتصف بصفات القهر والغضب والانتقام،

فكانت صفاته كصفات الإنسان في شدة القهر والانتقام، فالأسلوب التمثيلي البدائي كان من مزايا صحف التوراة .

وبالنسبة للعلاقة بين الإنسان ومعبوده، فكانت نوعية تلك العلاقة كعلاقة الزوج الغيور بزوجته، والزوج الغيور يمكن أن يعفو عن جميع خطايا زوجته سوى أن تشارك هي في حبها لزوجه أحدا غيره، فهو ذنب لا يغفر، فإله أسرة بنى إسرائيل غيور جدًا، وأنه اختار أسرة بني إسرائيل من بين أسر أخرى، لتكون هي زوجته المحببة كما تتجلي هذه الحقيقة في دعواهم (نحن شعب الله المختار) كما ورد في الوصايا العشر (Ten commandments) :ما معناه: "لا تصوروا شيئا مثله، لأنه ليس كمثله شيء، ولا تركعوا له (لغيره)، لأن إلهكم إله غيور ذو غيرة شديدة" – سنذكر هذه الوصايا العشر بعد قليل– هذا التمثيل اليهودي لإله في صورة زوج غيور بدأ يظهر بعد خروج اليهود من مصر، وبقي حتى جاء الإسلام، إلا أنه لا يمثل سوى التفكير البدائي الغير الناضج للعهد العتيق.

وفي العهد الجديد لليهودية لوحظت عناصر التوسع في التصور اليهودي الضيق لديانتهم، وكان المناخ الفكري للزمن ملائما لقبول تلك الصورة الجديدة للديانة اليهودية، فعلى عكس ما كان عليه التصور اليهودي لإله في العهد العتيق من شدة القهر والغضب والعذاب، حلت محلها الرحمة والشفقة والعفو والمغفرة، فلم يكن إله التصور المسيحي كالملك الجابر القاهر، ولم يكن عفيفا كزوج غيور شديد في غيرته وغليظ في انتقامه، وإنما كان كأب مثالي للعطف والحنان نحو ابنه، ولا شك أن علاقة الوالدين بالأبناء أسمى من جميع العلاقات في حياة الإنسان، لا دخل فيها لأغراض الهوى كما نرى في العلاقات بين الزوجين، لأن هذه العلاقة عبارة عن عاطفة الرحمة والشفقة والتربية وتوفير وسائلها اللازمة، حتى في حالة صدور أخطاء كثيرة ومتكررة من الأبناء، فلا تحرم الأم ابنها من حبها وحنانها قط، كما لا ترفض شفقة الأب العفو عن أخطائه. فهذا التمثيل المسيحي لتصور إله في علاقته بالإنسان

كان أفضل نسبيا من تمثيل الزوج الغليظ عند اليهود في حالة عدم وجود وسيلة للتعبير عن تصور الإله بدون استخدام وسائل على أساس التشابه في العلاقات التي تربط إنسان بإنسان.

وأما من ناحية التجسيم والتنزيه، فالمستوى الفكري لتصور الإله عند النصارى هو ذلك الذي انتهى إليه التصور اليهودي، ولكن حين امتزجت عقيدة التوحيد بتصور عبادة الأصنام في الروم، وفلسفة الإسكندرية في تصوير الأصنام غلبت عليها عقيدة الأقانيم الثلاثة، والكفارة، وعبادة المسيح (عليه السلام)، ثم ظهر تصور خاص بإله في شكل عبادة الأصنام، فكانوا ينكرون عبادة الأصنام، ولكنهم كانوا يتجاهلون ما كان لديهم من عبادة مقترنة بتعدد الآلهة. فكان تصور الإله المتمثل في أب عطوف وحنون عند النصارى بعد اختلاطه بالأقانيم الثلاثة تصورا إشراكيا، وبعيدا عن التوحيد الخالص .

ثم تناولنا أحكام الوصايا العشر عند اليهود، وقد جاء في التوراة أن الله (سبحانه وتعالى) أوحى لموسى (عليه السلام) بحفظ الوصايا العشرة، منها:

1. إخلاص الألوهية لله (سبحانه وتعالى).
2. عدم الإشراك بالله الواحد الأحد آلهة أخرى في العبادة.
3. وعدم النطق باسم الله بالباطل.
4. وحفظ السبت.
5. وبر الوالدين.
6. وحب الأقرباء كحب المرء لنفسه.
7. والنهي عن القتل والزني والسرقة وشهادة الزور.
8. وتحريم النظر إلى النساء بشهوة.
9. وتحريم النظر إلى ما أنعم الله به على الآخرين. (سفر الخروج: 20/ 2- 17)، و(سفر التثنية: 5/ 6- 21).

10. وغيرها من الوصايا الأخرى التي تتعلق بعمل القلب وبعمل الجوارح كما دلت عليها عدة نصوص من كتب العهد العتيق.

وجاء في الإنجيل أن عيسى بن مريم "المسيح" (عليه السلام) أمر بحفظ هذه الوصايا التي أمرت بحفظها التوراة، فقال المسيح في إنجيل متى، إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له أية الوصايا، فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك. (متى: 19/ 18-20).

هذه الوصايا التي أمر الله تعالى بها في شريعة موسى وعيسى (عليهما السلام) أمر الله تعالى بها في شريعة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، بل جاء في القرآن الكريم ما هو أشمل وأكمل مما جاء في التوراة والإنجيل، لأنه آخر الكتب الإلهية المنزلة على خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد أمر الله تعالى في سورة النساء، بإخلاص العبودية له (سبحانه وتعالى)، وأن لا يشرك به شيئا، وبالوالدين إحسانا، وبذى القربى، واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب، والصاحب بالجنب وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، وأن الله لا يحب من كان مختالا فخورا، ونهى عن البخل، وكتمان ما يؤتيه من الفضل، ونهى عن الظلم، وعن إنفاق الأموال رئاء الناس.

وقد خالف النصارى العهد بحفظ الوصية الأولى والعظمى- بعد ما رفع المسيح (عليه السلام)- حفظ الوصية الأولى، التي اتفقت عليها الشرائع الإلهية، التي أمرت بتوحيد الله (عزوجل) في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وإخلاص العبودية لله وحده دون سواه، فبعد ثلاثة قرون من رفع المسيح (عليه السلام) عقد النصارى مجمعًا لهم، اشترك فيه أحبارهم ورهبانهم في نيقية سنة 325م، فأقروا فيه تأليه المسيح.

ونلخص القول إن الوحى الإلهي المنزل على نوح والنبيين (عليهم السلام) من بعده حتى آخرهم وخاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، نزل بشرع واحد هو أصول الدين التي

تتفق فيها جميع الرسالات الإلهية، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجزاء والحساب والأعمال الصالحة والسيئة. يعني تتفق الرسالات الإلهية على ثلاثة مبادئ:

أ. الإيمان بإله واحد (وبمن جاء بالصحف الإلهية من الرسل والملائكة).

ب. الدعوة إلى الأعمال الصالحة.

ج. البعث بعد الموت (للجزاء والحساب).

فهذه المبادئ الثلاثة لدين الله (سبحانه وتعالى) لا تتغير من دين لآخر ومن نبي لآخر.

أما الشرائع والأحكام التي تنظم شؤون حياة البشر التي تتعلق بسعادته في حياته ومعاشه، فتختلف حسب طبيعة الزمن وعقليته من طور البدائية إلى طور المدنية. فكانت أولى الشرائع الإلهية التي نزلت لتنظيم شؤون حياة البشر، هي شريعة التوراة المنزلة على موسى (عليه السلام)، فقد شرع الله تعالى فيها حفظ الناموس الإلهي.

ثم كانت شريعة موسى (عليه السلام) شريعة النبيين من بعده حتى آخر أنبياء بني إسرائيل المسيح عيسى بن مريم الذي أنزل عليه الله (سبحانه وتعالى) الإنجيل مصدقا لما بين يديه من شرائع التوراة. والعمل بما فيها من أحكام، وليحل لبني إسرائيل ما كان محرما عليهم في التوراة من عند الله.

بغض النظر عن سلطنة المكابيين الصغيرة تلك، إن الشعب اليهودي كله كان قد انتشر، وكانت مستوطناتهم قائمة في المناطق القريبة من بحر الروم. وبعد نهاية نفيهم إلى بابل كان قد رجع عدد كبير منهم إلى فلسطين، ولكن الأغلبية لم تظل مقيمة في بابل. وكانت (أورشلم) خاضعة للحكومة الرومية، كان الرومان يسمونها (يهودية) وكان يحكمها الوالي المعين من قبل الروم، وأما من ناحية الوسائل المادية، فكان لا يمكن أن يتنفس اليهود في جو من الحرية، فكانت عيونهم متعلقة بحدوث شيء إيجابي في المستقبل، وكانت أغلبية من اليهود تنتظر أن يرسله الله (سبحانه وتعالى) من ينقذهم من حياة العبودية، ويقيم لهم ملكا وملكا.

سنتناول انحراف النصارى عن شريعة موسى وعيسى (عليهما السلام)، والتحريف في الصحف الإلهية فيما بعد.

ثم تناولنا في الفصل الثالث: ميلاد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) في القرآن الكريم والكتب المقدسة. أما ما ذكر عن عيسى بن مريم (عليهما السلام) في القرآن الكريم هو يتلخص في هذه النقاط الأربعة:

1. إنه إنسان بشر عبد الله عز وجل، حملته مريم ووضعته بإرادة الله (سبحانه وتعالى).
2. إنه رسول، أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل.
3. آتاه الله (سبحانه وتعالى) الكتاب، وهو الإنجيل.
4. إنه بَرَّأ أمه مما رماها به القوم من البغاء، كما أعلن براءته مما نسبه إليه القوم من الألوهية والتثليث والصلب وغيرها.

وجدير بالذكر أن هذه النقاط الأربعة مذكورة في القرآن الكريم أيضًا، ولكن بأسلوب أشمل وأكمل.

أما ميلاد المسيح عيسى بن مريم في الكتب المقدسة، فقد قال متى في بداية إنجيله عن ولادة عيسى بن مريم: (أما ولادة يسوع فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذا كان بارا ولم يشأ يشهرها أراد تخليتها سرا. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا: يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من روح القدس. فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل. هو ذا العذراء تحبل، وتلد ابنا ويدعون اسمه (عمانوئيل) الذي تفسيره "الله معنا". فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا اسمه يسوع.

ولما علم (هيردوس) بأمر المسيح عزم على قتله كما أخبر متى، فظهر الملك يوسف في المنام، وأمره بأن يأخذ الصبي وأمه ويخرج من أورشلم، فخرجوا ليلا، وذهبوا إلى مصر، ويذكر متى أنه بعد موت هيردوس جاء الملك يوسف أمره بالعودة إلى فلسطين تم انصرف إلى نواحي الجليل، وسكن مدينة الناصرة. ولذلك سمي النصارى بالنصارى الذين يتبعون المسيح الناصري وسمي دينه بـ(النصرانية).

ولم تذكر الأناجيل شيئا هاما يوضح حياة المسيح (عليه السلام)، وبخاصة قبل بعثته في صباه وشبابه سوى ما جاء في إنجيل برنابا.

ويقول بولس شباط: "إن الأناجيل قد أوجزت الكلام عن حياة عيسى من مولوده إلى دعوته فلم تذكر منها إلا النذر اليسير، ولا كتب الإنجيليون سوى أنه كان يزاول التجارة".

وكذلك يقول ول ديورانت: "لا يذكر أصحاب الأناجيل إلا القليل الذي لا يغني عن شباب المسيح، فهم يقولون إنه اختتن حين بلغ الثامنة من عمره، ولقد كان يوسف نجارا وإن ما كان في ذلك العصر من توارث المهن ليوحى بأن يسوع قد احترف هذه الحرفة اللطيفة وقتا ما".

فالنصارى بأنفسهم يعترفون بأن الأناجيل لم تذكر إلا القليل عن فترة هامة من حياة المسيح (عليه السلام) من وقت صباه إلى وقت بعثته، وقد ذكر بعضهم أن المسيح كان يعمل بالتجارة، وذكر بعضهم أنه كان نجارا، ويمكن القول بأن المسيح قد يكون مارس المهنتين: التجارة والنجارة معا أو كل واحدة منهما على حدة في فترات متقطعة.

فكان مسيح ابن مريم يعتريه ما كان يعترى أى إنسان، فكان يأكل ويشرب ويحب، وكانت تلاحقه متاعب الحياة وأحزانها، ويلحقه العجز، ويغضب ويعنف ويخاف ويضطرب ويفزع، مما يؤكد بشريته، وصدق الله تعالى في القرآن الكريم، إذ قال: "ما المسيح ابن مريم إلا

رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنَّى يؤفكون".

ويلخص حبيب سعيد حياة عيسى بن مريم (عليهما السلام) في سطور بقوله: "ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن المسيح ولد في فلسطين من عذراء طاهرة لم يمسها رجل من قرية بيت لحم، وفي عصر أغسطس قيصر الروم وفي بداية خدمته العامة التي ناهزت ثلاث سنوات قضاها يعلم الناس عن ملكوت الله، ملكوت البر والحق والمحبة والخير، ويشفي المرضى ويجري المعجزات الباهرات، وتصدى له الفريسيون اليهود وهم الحفاظ على الناموس والصدوقيون وهم طبقة الكهنوت الإرستقراطية والرومان الذين خشوا على سلطتهم من تعاليمه الجديدة وحكموا عليه بالموت".

وهناك مصادر إسلامية كثيرة لمعرفة حياة المسيح بن مريم (عليهما السلام). إننا كتبنا نبذة عن حياته هنا قبل بيان عقيدة التثليث عند النصارى، لأنهم يعتقدون في ألوهية المسيح عن طريق الاتحاد والحلول. ويقولون إنه واحد من الثلاثة، والثلاثة في واحد، وحتى الآن لم يتمكنوا من الخروج من هذه المعمعة. فكان يجب أن نلقي الضوء على شخصية المسيح ليتجلى شأنه، أنه هو المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم فحملت به، وولدته من غير أب، ونطق في المهد معترفا ومقرا بعبوديته لله (سبحانه وتعالى) وتنفيذا لما أمره به، ومبرئا لأمه وبرأ بها، ونشأ كما ينشأ الفتيان وتعلم العلم، وعمل بالتجارة والنجارة، وكان يعتريه ما يعترى سائر الناس، وكان يأكل ويشرب وينام ويفرح ويحزن ويغضب ويسر، ونزل عليه الوحي من الله وهو في السن الثلاثين من عمره واستمر فترة ثلاث سنين وبضعة أشهر، دبر له اليهود المكايد كى يتخلصوا منه إلا أن الله نجاه منهم. وهناك اختلاف شديد بين النصارى في حقيقة عيسى بن مريم بكونه بشرا مثلنا، وبكونه إلها حسب عقيدة النصارى. فسنحاول أن نقدم آراء هؤلاء وهؤلاء من ناحية الناسوت واللاهوت، ليتجلى شأن المسيح (عليه السلام).

وفي الفصل الرابع الخاص بعقيدة التثليث عند النصارى، قلنا فيه: إن النصرانية لم تكن هي وحدها مؤمنة بعقيدة التثليث، ولا أول دين ظهرت فيه هذه العقيدة، وإنما جذورها ترجع إلى العصور القديمة من تاريخ البشر.

فنقل الأستاذ محمد بن طاهر التنير قول (موريس) في عقيدة التثليث: "كانت عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي أى أن الإله ذو ثلاثة أقانيم".

وقال دوان: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث أى القول: بأن الإله المعبود ذو ثلاثة أقانيم، والهنود يدعون هذا التثليث بلغتهم (الهندية) "تري مورتي" ومعاناها أقانيم ثلاثة، وهي: "برهما"، و"فشنو"، و"شيوا" ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة، وهي الرب والمخلص "وشيوا" ومجموع هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد. وجاء في كتب البرهميين الهندوس المقدسة والمعتبرة لديهم: أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج ويوضحونه بقولهم: براهما يمثل مبادئ التكوين والخلق، ولا يزال خلاقا إلهيا، هو: (الأب) و"فشنو" يمثل مبادئ الحماية والحفظ، وهو: (الابن) المنفك المنقلب عن الحال اللاهوتية، و"شيوا" المبدئ، المهلك والمبيد والمعيد، وهو: (روح القدس).

والبوذيون من سكان الصين واليابان يعبدون إلها مثلث الأقانيم يسمونه: (فو) ويقولون إن (فو) واحد، ولكنه ذو ثلاثة أشكال.

وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث، وهو أولا الله ثم الكلمة ثم الروح. وكذلك كان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم، وهم: (أهورا مزدا، ومترا، وأهرامان) "فأهورا مزدا" خلاق، و"مترا" ابن الله المخلص والوسيط، و"أهرامان": المهلك –كما سبق–

وهكذا هذا التشابه الكبير بين هذه الديانات الوثنية والنصرانية فيما يتصل بعقيدة التثليث، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه العقيدة كانت سابقة على النصرانية، وأنها

اقتبستها من تلك الديانات الوثنية، وأدخلتها ضمن تعاليمها، ولا إنكار من وجود صلة بين الشرق والغرب وتبادل ثقافي بين الأمم في القديم والحديث.

ثم ذكرنا عقيدة التوحيد عند النصارى، وقال الشيخ محمد الغزالي في هذا الصدد: "المعروف أن العلاقة بين أفراد الثالوث المقدس لم تأخذ وضعها النهائي إلا بعد مجامع كبرى عقدها آباء الكنيسة، وأصدروا فيها القرارات التي تمخضت عنها دراساتهم.

وقد افتتح مجمع "نيقية" هذه السلسلة بأن أصدر قرارا يقضي بألوهية عيسى بن الله –كما يقولون–

ثم كان آخر أطوار هذا الاعتقاد المنشور الذي أصدره (بيوس) بابا رومة باعتبار (مريم) في مصاف الآلهة.

أما عقيدة التوحيد في التثليث عند النصارى فقد اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة التثليث، وقد أقرت هذه العقيدة أول مرة في المجمع القسطنطيني المنعقد في سنة 381م والذي أكمل ما بدأه مجمع نيقية في سنة 325م، الذي قرر عقيدة التأليه والبنوة فقط، ولم يرد ذكر لعقيدة الروح القدس، فأتي هذا المجمع وقرر ألوهية الروح القدس، وبذلك وصلت النصرانية إلى القول بالتثليث في العقيدة، فزعموا أن الله (سبحانه وتعالى) يتكون من ثلاثة أقانيم أى ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة: (الأب) و(الابن) و(الروح القدس) هي الذات الإلهية، فإذا تجلى الله ذاتا سمى الأب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس.

ثم اختلفوا في هوية كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة وصلته بالإله المجموع: (Trinity) فقال البعض: كل منها إله تام يعني الأب عند النصارى إله تام، والابن إله تام والروح القدس إله تام. ولكن المذهب الكاثوليكي لا يذهب إلى الاعتقاد بثلاثة آلهة.

ثم الأقانيم الثلاثة ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها، بل ثلاثة شخصيات متميزة غير منفصلة، متساوية فائقة عن التصور. هذا ما نسميه التوحيد في التثليث.

وقد تناول عالم جليل من علماء النصارى سنت أغسطين (St. Agustine) عاش في القرن الثالث الميلادي، هذا الموضوع في كتابه المعروف بـ (التوحيد في التثليث) بالإنجليزية (On the Trinity) فيقول: إنني درست علماء النصارى الكاثوليكيين الذين كتبوا في التثليث وأرادوا أن يعلموا في ضوء الصحف المقدسة للعهد العتيق والجديد، بأن الأب والابن والروح القدس يؤلفون "وحدة" لا تقبل التجزى والانقسام من حيث ماهيتها وحقيقتها، فالأقانيم الثلاثة ليست ثلاثة آلهة، وإنما هي بمجموعها إله واحد. وذلك على الرغم أن الأب خلق الابن، فالأب ليس هو الابن، وكذلك ليس الابن هو الأب، لأنه خلق من أبيه، وكذلك الروح (القدس) التي هي روح الأب والابن، لها أيضًا درجة متساوية، ولها سهم في تأليف الوحدة للثالوث، ولكن يجب ألا يتصور أن هذه الوحدة في التثليث قد خلقت من بطن مريم العذراء، وصلبت ثم دفنت، وفي اليوم الثالث من بعد دفنها قامت ودخلت الجنة، فهذه الوقائع لم تكن مختصة بالثالوث الموحد، وإنما حدثت لأقنوم الابن فحسب. وكذلك يجب ألا يتصور أن هذه الوحدة هي تلك التي كانت قد نزلت على يسوع المسيح في صورة الحمام.

فما الجواز لهذا الثالوث الموحد عند النصارى؟ لمعرفة هذا السؤال يجب أن نعلم حقيقة كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة: الأب والابن والروح القدس.

وبعد ذلك تناولنا عقيدة الاتحاد والحلول عند النصارى. قال المقريزي في كتابه المسمى في بيان عقيدة الاتحاد عند الفرق المسيحية التي كانت في عصره: (النصارى فرق كثيرة: الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء) ثم قال: (والملكانية واليعقوبية والنسطورية كلهم متفقون على أن معبودهم

ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم الثلاثة هي واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس إله واحد). ثم قال:

"قالوا: قد اتحد الابن بإنسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحداً، وإن المسيح هو إله العباد وربهم، ثم اختلفوا في صفة الاتحاد، فزعم بعضهم أن الاتحاد وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي، ولم يخرج هذا الاتحاد أي واحد منهما عن جوهريته وعنصره، وإن المسيح إله معبود، وإنه ابن مريم الذي حملته وولدته، وإنه قتل وصلب. وزعم قوم أن للمسيح بعد الاتحاد جوهران، أحدهما لاهوتي والآخر ناسوتي، وأن القتل والصلب قد وقع من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته، وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته، وهذا قول النسطورية".

وزعم قوم أن الاتحاد كان من جهة حلول الابن في الجسد ومخالطته إياه.

ومنهم من زعم أن الاتحاد كان من جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش، إذا وقع على طين أو شمع، وكظهور صورة الإنسان في المرآة إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم.

ثم قدمنا أدلة النصارى على عقيدة التثليث، وقلنا: إن النصارى يعتمد فيما ذهبوا إليه من عقيدة التثليث على ما ورد من نصوص في الكتاب المقدس عندهم، فجاء في رسالة يوحنا الأولى: فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد.

وجاء في إنجيل يوحنا: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله".

وذكر في رسالة بولس إلى أهل كولوس: (فإنه فيه أى المسيح. خلق الكل ما في السماوات، وما على الأرض، وما يرى، وما لا يرى سواء كان عروشا أو سيادات، أم رياسات، أم سلاطين، الكل به، وله خُلِقَ الذي هو كل شيء، وفيه يقوم الكل).

ولكن معمعة الواحد في ثلاثة، والثلاثة في الواحد لاتزال فوق إدراك القوي العقلية لأي إنسان عاقل. وقد حاول المفكرون الكبار من النصارى أن يخرجوا من هذه المعمعة سنوات وسنوات، ولكن لم يظهر أى حل معقول ومقنع لهذه المعمعة حتى الآن.

ونلخص الكلام ونقول إن الدين المسيحي يدعى بأن الوحدة والكثرة أى (التوحيد) و(التثليث) كلتاهما حقيقيتان في وجود ذات واجب الوجود (الإله المعبود) والمثال المقدم من أغسطين – الذي سبق– نرى فيه الوحدة حقيقية، ولكن الكثرة ليست حقيقية، وإنما هي اعتبارية. فلا يثبت منه الاتحاد بين الواحد والثلاثة. ومعلوم أن الكثرة في الصفات لوجود ذات الإله الأحد ليست محلا للنزاع. فكل الديانات تعتقد بأن الإله واحد أصلا، ولكن له صفات كثيرة.

وقد رد رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) على عقيدة النصارى في التثليث بالبراهين العقلية. وقال الشيخ رحمة الله الهندي في الفصل الثالث من كتابه "إظهار الحق" في الرد على أهل التثليث: "فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالبا مجملة ومنقولة من إنجيل يوحنا، وهي على ثلاثة أقسام:

بعضها لا يدل على مقصودهم بحسب معانيها الحقيقية، فاستنباط الألوهية منها قائم على مجرد زعمهم، وهذا الاستنباط والزعم لا يعتد بهما ولا يصح الاعتقاد بهما في حالة وجود البراهين العقلية والنصوص القطعية ضدهما.

وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى، ومن بعض النصوص الواردة في الأناجيل، فلا اعتبار لرأيهم فيها.

وبعضها أقوال يجب تأويلها عندنا وعندهم أيضًا، فإذا وجب التأويل لقلنا: لابد من أن لايخالف هذا التأويل البراهين والنصوص، وأنى لهم ذلك.

فلا حاجة إلى نقل الكل، بل يكفينا نقل الأكثر ليتضح منه للناظر حال استدلالهم، وليقيس الباقي عليه.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: إن النصارى "قد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته، فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جدا، لأن العالم حادث بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم، خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم، فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقا بلا أب، ويفوق عليه في كونه بلا أم، وتتولد أنواع من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم، فكيف يكون هذا الأمر سببا للألوهية. ولو نظرنا إلى نوع الإنسان فآدم (عليه السلام) يفوق على عيسى بن مريم".

ويستدلون تارة بمعجزاته، وهذا أيضًا ضعيف، لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى -بصرف النظر عن ثبوته-

فيقول الشيخ رحمة الله ردا على هذا النوع من استدلالاتهم: إن عيسى (عليه السلام) -حسب ما ذكر في الأناجيل- ما أحيأ إلى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص -كما هو معلوم- وأحيا حزقيال (عليه السلام) ألوفا كما هو مصرح به في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون إلها، وأحيا إيلياء (عليه السلام) أيضًا ميتا كما هو مصرح به في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، وأحيا اليسع (عليه السلام) أيضًا ميتا كما هو مصرح به في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته، أن ميتا ألقى في قبره فحي بإذن الله كما هو مصرح به في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه، كما هو مصرح به في الباب الخامس من السفر المذكور.

وقد يتمسكون ببعض آيات كتب العهد العتيق، وببعض أقوال الحواريين للاستدلال على ألوهية المسيح (عليه السلام). (الشيخ رحمة الله الهندى. كتاب إظهار الحق. ص: 13-23) فقد جمع الشيخ رحمة الله الهندي دعاويهم ورد عليها ردًا علميًا مقنعًا في كتاب له بعنوان: (إزالة الأوهام) فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إليه.

فلا شك أن عقيدة التثليث أو الثالوث المقدس لا تثبت من الأناجيل المقدسة لدى النصارى وإنما هي نتيجة لسوء فهمهم الآيات الواردة في الأناجيل، واستدلالاتهم الخاطئة، وبالتأكيد إذا كان الفساد في المقدمات فسدت نتائجها. ولا شك كتاباتهم ورسائلهم ليست بالإلهام، وقد وردت فيها كثير من الأخطاء والاختلافات والتناقضات باليقين التام، ثم أقوال **بولس** لا أساس لها من الصحة، ولا اعتبار لها ولصاحبها من حيث الثقة، فهو غير مسلم عندنا، لأنه ليس من الحواريين، -كما سنرى بعد قليل- وإنما نقلنا أقوال الديانة المسيحية بتأويلها لأجل إتمام الإلزام وإثبات الحجة بأن تمسكهم بها ضعيف، وكذلك تمسكهم بأقوال الحواريين، وذلك على تقدير تسليمهم أنها أقوالهم، ولا يثبت عندنا أنها أقوال المسيح (عليه السلام) والحواريين، وذلك بفقدان إسناد هذه الكتب، وبوقوعها عرضة للتحريف عموما، وفي مثل هذه المسألة (التثليث والاتحاد والتجسم) خصوصا. ولا شك أن المسيح والحواريين كانوا براء من هذه العقيدة الكفرية يقينا. فيجب أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وأن الحواريين رسل رسول أرسل إليهم من الله.

أما الكتب المقدسة فقد تناولناها في الفصل الخمس والأخير بشيء من التفصيل وبيَّنَّا التبديل والتحريف فيها، والظروف السياسية التي مرت بها ووصلت إلى أيادي هؤلاء الوضاعين الذين تحدثوا باسم الحواريين ونقلوا إلينا النصوص الدينية المترجمة إلى اللغة الرومية، واسم المترجم مفقود، والنسخة الأصلية هي مفقودة أيضا من أيام بخت نصر -كما هو معلوم —

وأخيرًا نود أن نسجل بعض الملاحظات في أمر معجزاته وما يتعلق بوفاته:

إن المعجزات الحسية التي صدرت من عيسى بن مريم هي كانت كلها بأمر من الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يمنحها الأنبياء والمرسلين لتائيد رسالاتهم وصدق دعاويهم. فهذه المعجزات كلها من الله تعالى، وليس من عيسى بن مريم وهو عبد الله ورسوله، ويشر مثلنا، كما رأينا في تاريخ داؤود وسليمان وموسى (عليهم السلام). فعيسى (عليه السلام) أيضا كان مثلهم كإنسان، وعاش في دنيا الإنسان كإنسان.

أما وفاة عيسى بن مريم (عليه السلام)، فإنه قد مات مثل أنبياء آخرين، لأن الله تعالى قال في كتابه: "إِني مُتَوَفِّيْكَ ورَافِعُكَ إِليَّ". فإذا كان فاعل (الوفاة) من ذي روح، وهنا الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الذي حي لا يموت، فمعنى كلمة "الوفاة" هو قبض الروح، يعني الله سبحانه وتعالى قبض روح عيسى بن مريم، فقد مات، ثم رفع الله جثمانه إليه، وإنه على كل شيء قدير. ولا يسأل أين جثمانه؟ ولا نقول أيضا إنه رفع إلى السماء، لأن كلمة السماء غير واردة في النصوص القرآنية. والله أعلم بالصواب.

الهوامش

1. إمام الهند أبو الكلام آزاد. (1990). دلهي: الطبعة الأولى. ص: 266–273
2. أبو الكلام آزاد. (بدون تاريخ). أم الكتاب لأبي الكلام آزاد. (بالأردية). ص:213
3. المرجع السابق. ص: 210 – 216
4. عباس محمود العقاد. (1969). "الله". القاهرة: دار المعارف. ص: 136-137. انظر: فوزان مصرا المحمدي. الجانب الفلسفي من الحضارة الإسلامية. ص: 192
5. تاريخ الفلسفة اليونانية. ص: 18
6. المرجع السابق. ص: 193
7. المرجع السابق. ص:194
8. المرجع السابق. ص: 195
9. أبو الكلام آزاد. (بدون تاريخ). أم الكتاب لأبي الكلام آزاد. ص: 212- 216
10. انظر الباب الأول من الكتاب الأول للمكابيين.
11. الندوي. أبو الحسن علي. (1965). الحسني. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة السادسة. ص: 35- 36
12. سفر الخروج: 23/ 1-7، وسفر اللاويين: 19/ 18- 34، وسفر التثنية: 9/ 5، 15/ 11. انظر: الشعيبي. عبد الله بن عبد العزيز. (1423هـ). المسيح بن مريم. مكة: رابطة العالم الإسلامي، إدارة شؤون الدعوة، العدد: 196. ص: 35
13. مرقس: 12/ 32- 34
14. سورة النساء، الآيات: 36-38
15. سورة النساء، الآيات: 23-38
16. الإسراء، الآية: 39
17. حنا. جرجس. تاريخ الفكر المسيحي. 4/ 631، انظر: الشعيبي. عبد الله بن عبد العزيز. (1423هـ). المسيح بن مريم مصدق لما بين يديه من التوراة. مكة: رابطة العالم الإسلامي. إدارة شؤون الدعوة.
18. سورة مريم. الآيات: 16-36

19.تفسير الطيري: 305-308، وانظر: https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura19-aya25.html#tabary

20. متى: 1/ 18- 25

21. متى: 2 / 1

22. لوقا: 12/ 40- 74

23. شلبي. أحمد. (1983). المسيحية. القاهرة: دار النهضة المصرية–الطبعة السابعة. ص: 37

24. ول ديورانت. (بدون تاريخ). قصة الحضارة. القاهرة: ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة. جامعة الدول العربية. جـ11، ص: 214

25. أحمد. عبد الوهاب. (1979). النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. القاهرة: مكتبة وهبة. ص: 75- 76

26. سورة المائدة، الآية: 57

27. سعيد. حبيب. (بدون تاريخ). أعيان العالم. القاهرة: التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. ص: 256

28. التنير. محمد بن طاهر. (1989). العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. القاهرة: دار الصحوة. الطبعة الأولى. ص: 54-68م، وانظر: شلبي. أحمد. (1989). أديان الهند الكبرى. القاهرة: دار النهضة المصرية. الطبعة الخامسة. ص: 48

29. الغزالي. محمد. (1987). دفاع عن العقيدة والشريعة –التطور في العقيدة– بيروت: دار الشروق. الطبعة الأولى. ص: 104

1. 30. Hibbert Journal xx 1v No.1. The Encyclopedia Britanica 1950. P. 479V.22 "TRINITY".

31. مرجان. محمد مجدي. (1975). المسيح إنسان أم إله. القاهرة: دار النهضة العربية. وارجع أيضًا: القس بولس مزج. "الله واحد أم ثالوت؟ دار النهضة العربية. ص: 9

32. St. Thomas Aquinas, Basic Writings of Britannica P.479V.22

33. الخطط المقريزية. (1959). لبنان. جـ3. ص: 408

34. Basic Writings of St. Augustine, translated by: A.W. Haddan and edited by j. O Als, New York 1948 p. 672 V. 2.

35. Basic Writings of St. Thomas Aquinas edited by: A. C. Pegi p.p. 324, 15v. New York 1915

36. Encyclopedia of Religion and Ethics P. 585 V-3

37. The City of God by: Augustine P.168 V-2

38. متى 3: 16

39. انظر كتاب الأعمال جـ 2 ص 1- 22، وأغسطين. جـ 2 ص: 672. من بائبل إلى القرآن. ترجمة كتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمة الله الهندي بالأوردية. ص: 47- 48.

40. يوحنا: 7/5

41. يوحنا: 1/ 1

42. رسالة بولس إلى أهل كولوس: 1/ 16- 17

43. لوقا: 1/ 35

44. ميخائيل. وديع. (1984). براهين ألوهية المسيح. الطبعة الرابعة. ص: 46

45. ريلتون. موريس. "دراسات في العقيدة النصرانية": H. Maurice Relton: "Studies in Cristian Doctrine

46. تكشيف التثليث. (1927). باكستان- لاهور: ص: 24

47. درويش. عادل محمد. (1997). النصرانية بين الحقيقة والتحريف. القاهرة – شرقية: دار العلم. الطبعة الأولى.ص: 242

48. أغسطين. جـ 2 ص: 92

49. الهندي. رحمة الله. (بدون تاريخ). إظهار الحق. الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية. جـ1 ص: 388-390

50. إظهار الحق. جـ 2 ص: 3- 7

51. إظهار الحق. جـ 2 ص: 8- 9

52. تأليف مجموعة من علماء اللاهوت. (1976). قاموس الكتاب المقدس. الطبعة الثانية. ص: 445

53. تأليف مجموعة من علماء اللاهوت. (1988). معجم اللاهوت الكتابي. دار الشرق: الطبعة الثانية. ص: 282

54. "مشكلات العقيدة النصرانية". ص: 113، وراجع: البغدادي. عبد الرحمن بن سليم. (1987). الفارق بين المخلوق والخالق. مكتبة الثقافة الدينية. ص: 400

55. سورة النساء، الآية: 157

56. الخليقة/ 2: 17

57. Original Sin, Aquinas the Summa (Theologica Q.87, Art. 2. P. 710 v.11

58. Agustine: The Enchiridion xxx 1P. 673

59. The Summa Theologica Q.81, Art.3. P. 669 v. 11, Encyclopedia Britannica p. 65

60. Augustine: The City of God II p. 255-259 Book No.14, Chapter No.1.

61. متى: 26-26

62. لوقا: 22-19

63. Justin Martyr. Apol P. 65-67 Quoted by F. c. Burkitt, The Christian Religion p.149 v.111

64. Cyril Cat. Mist. K. quoted by the Britannica p. 795 v8 "EUCHARIS

65. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 265

66. كتاب الملل والنحل للشهرستاني. ص: 335

67. سورة البقرة، الآية: 286

68. سورة النساء، الآية: 111

69. مرجان. محمد مجدي. المسيح إنسان أم إله؟ ص: 143. وانظر أيضًا: النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 263

70. القضايا المسيحية الكبرى. ص: 373

71. سمعان. عوض. فلسفة الغفران. القاهرة: المطبعة التجارية. ص: 80

72. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 268

73. المسيحية في الإسلام. ص: 162

74. تاريخ الأقباط جـ1 ص: 57 وما بعدها. والحقيقة بين المسيحية والإسلام. ص: 46

75. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 275

76. دراسات في إنجيل مرقس. ص: 527- 531، محمد رجب. (1989). النصرانية. دار الطباعة المحمدية. ط: الأولى. وانظر: أ. هـ برودبنت. (1973). الكنيسة المغتربة. القاهرة: مكتبة الأخوة. ص:

77. وأيضًا: النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 276.

78. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 277

79. المرجع السابق. ص: 186-188

80. حبيب سعيد. المدخل إلى الكتاب المقدس. القاهرة: المكتبة الأسقفية. ص: 70. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 194

81. النصرنية بين الحقيقة والتحريف. ص: 193.

82. محمد أبو زهرة. الشيخ. (1966). محاضرات في النصرانية. دار الفكر العربي. ص: 56

83. حبيب سعيد. المدخل إلى الكتاب المقدس. ص: 228

84. محمد أبو زهرة. الشيخ. محاضرات في النصرانية. ص: 41

85. المدخل إلى الكتاب المقدس. ص: 210. وانظر: النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 197

86. المرجع السابق. ص: 115 وما بعدها.

87. المرجع السابق ص: 223

88. الإنجيل والصليب ص: 14-12. وراجع أحمد شلبي. المسيحية. ص: 205. والنصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 198

89. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 199. وانظر: محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة والإنجيل والقرآن. ص: 144

90. قاموس الكتاب المقدس. ص: 832

91. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 200

92. المدخل إلى الكتاب المقدس. ص: 243

93. قاموس الكتاب المقدس. ص: 833

94. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 201

95. قاموس الكتاب المقدس. ص: 823. والنصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص:291

96. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 202

97. محاضرات في النصرانية. ص: 45

98. قاموس الكتاب المقدس. ص: 853

99. رسابة بولس إلى أهل كولوس 4/ 10

100. تاريخ الأقباط. جـ1. ص: 74

101. محاضرات في النصرانية. ص: 64

102. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 203

103. المدخل إلى دراسة الكتاب المقدس. ص: 248-250.

104. متى: 12/11، 31/6. ووليام باركلي. تفسير إنجيل مرقس. ترجمه: عزيز فهيم. (1977). القاهرة: الثقافة المسيحية. ص: 16

105. بوكاي. موريس. (بدون تاريخ). الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. القاهرة: دار المعارف. ص: 4/85.

106. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 203

107. قاموس الكتاب المقدس. ص: 855

108. تفسير إنجيل مرقس. ص: 44

109. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 205

110. المدخل إلى الكتاب المقدس. ص: 253-255

111. قاموس الكتاب المقدس. ص: 823

112. المدخل إلى الكتاب المقدس. ص: 662

113. محاضرات في النصرانية. ص: 50. والنصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 207

114. من القرآن إلى الإنجيل. (بالأردية) ص: 118

115. لجنة الكتب الدينية. (1960). أقدمية وأصالة الأناجيل الأربعة. (بالأردية) باكستان-بنجاب: ج2. ص: 131

116. المرجع السابق. ص: 140

117. متى/ 2:1 ومرقس/ 3: 16-19، ولوقا/ 6: 14- 16 وأعمال الرسل/ 1: 13

118. B. H. Streeter: The Four Gospels p. 43

119. Quoted by Streeter: Four Gospels p. 443

120. من القرآن إلى الإنجيل. ص: 124

121. المصري. سيد رشيد رضا. (بدون تاريخ). مقدمة إنجيل برنابا. طبعة القاهرة.

122. أبو زهرة. محمد. الشيخ. محاضرات في النصرانية. ص: 49-68. قاموس الكتاب المقدس. ص:122. دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي (ج1.65). إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي تحقيق محمد أحمد ملكاوي. ج11/1.

123. الكتبي. الشيخ أحمد علي المليحى. (1908). الجواب عن سؤال بعض أهل الكتاب. ص:6. محمد عزت الطهطاوي في كتابه بشائر الرسالة المحمدية. انظر: مقدمة إنجيل برنابا.

124. يوحنا هذا ليس هو صاحب الإنجيل المعروف. فصاحب الإنجيل المسمى (إنجيل يوحنا) ليس مقطوعا. أنه أحد الحواريين، أنه كتبه في نهاية القرن الأول الميلادي، وفيه الزعم بألوهية المسيح، فلا بد أن يكون كاتبه يوحنا آخر سوى الحواريين.

125. أبو زهرة. محمد. الشيخ. محاضرات في النصرانية. بشائر الرسالة المحمدية. محمد عزت الطهطاوي. ص: 59-65

126. الحديث والمحدثون، للشيخ الدكتور محمد أبو زهرة. ص: 185-190

127. البخاري. ص: 62-76

128. الإصابة 4/ 198-199 من مقدمة إنجيل برنابا لمجدي محمد الشهاوي. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ميدان الحسين.

129. شارل جنيبير. (بدون تاريخ). المسيحية، نشأتها وتطورها. ترجمة عبد الحليم محمود. بيروت: المكتبة العصرية. ص: 68

130. المرجع السابق. ص: 69-70

131. الجويني. إمام الحرمين. (1989). شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل. ت: السقا. أحمد حجازي. الطبعة الثالثة. ص: 77. والنصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 71

132. المسيحية. ص: 107

133. محمد عبد الرحمن عوض. (1986). الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة. القاهرة: دار البشير. ص: 29

134. قصة الحضارة. ج3. ص: 24

135. محمد رجب. النصرانية دراسة مقارنة. ص: 98

136. حبيب سعيد. (1977). فجر المسيحية. سلسلة تاريخ المسيحية. القاهرة: دار الجليل. ص: 45

137. Art Logos. Encyclopedia of Religion and Ethics, written by James Hasting between 1908-1927 vol.6. P.717

138. Encyclopedia of Religion and Ethics, vol. 6. p. 718 Logos)

139. قصة الحضارة. ج3. ص: 253-268. فجر المسيحية. ص: 41-44. تاريخ الكنيسة لجون لويمر. ص:62

140. الله واحد أم ثالوث؟ ص: 88

141. أحمد شلبي. المسيحية. ص: 45

142. حبيب سعيد. فجر المسيحية. ص: 45

143. الله واحد أم ثالوث؟ ص: 45

144. الطهطاوي. محمد عزت. (1989). النصرانية والإسلام. القاهرة: مكتبة النور. ص: 281
145. النصرانية بين الحقيقة والتحريف. ص: 87
146. هـ. ج. ويلز. (1947). موجز تاريخ العالم. ترجمة سعيد عبد العزيز توفيق. بيروت: دار الفكر العربي. ص: 178.
147. الندوي. أبو الحسن علي. الحسني. (1965). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة السادسة. ص: 166-167
148. الغزالي. الشيخ محمد. (1987). دفاع عن العقيدة والشريعة. بيروت: دار الشروق. الطبعة الأولى. ص: 102

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ. هـ برودبنت. (1973). **الكنيسة المغتربة**. القاهرة: مكتبة الأخوة.

أبو زهرة، الشيخ محمد. (دون تاريخ). **محاضرات في النصرانية**. طبعة القاهرة.

أبو زهرة، الشيخ محمد. (دون تاريخ). **الحديث والمحدثون**. طبعة دار الكتاب العربي.

أحمد، عبد الوهاب. (1979). **النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام**. القاهرة: مكتبة وهبة.آزاد،

إمام الهند أبو الكلام. (1990). **أم الكتاب**. دلهي: الطبعة الأولى.

باركلي، ووليام. (1977).**تفسير إنجيل مرقس**. ترجمه: عزيز فهيم. القاهرة: الثقافة المسيحية.

البغدادي، عبد الرحمن بن سليم. (1987). **الفارق بين المخلوق والخالق**. مكتبة الثقافة الدينية.

بوكاي، موريس. (بدون تاريخ). **الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**. القاهرة: دار المعارف.

التنير، محمد بن طاهر. (1989). **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**. القاهرة: دار الصحوة. الطبعة الأولى.

جنيبير، شارل. (بدون تاريخ). **المسيحية، نشأتها وتطورها**. ترجمة عبد الحليم محمود. بيروت: المكتبة العصرية.

الجويني، إمام الحرمين. (1989). **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**. ت: السقا. أحمد حجازي. الطبعة الثالثة.

درويش، عادل محمد. (1997). **النصرانية بين الحقيقة والتحريف**. القاهرة – شرقية: دار العلم. الطبعة الأولى.

ديورانت، ول. (بدون تاريخ). **قصة الحضارة**. القاهرة: ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة. جامعة الدول العربية.

رجب، محمد. (1989). **النصرانية**. دار الطباعة المحمدية. ط: الأولى.

ريلتون، موريس. "**دراسات في العقيدة النصرانية**": H. Maurice Relton: “Studies in Cristian Doctrine

سعيد، حبيب. (دون تاريخ). **المدخل إلى الكتاب المقدس**. القاهرة: المكتبة الأسقفية.

سعيد، حبيب. (دون تاريخ). **فجر المسيحية**. القاهرة: المكتبة الأسقفية.

سمعان، عوض. (دون تاريخ). **فلسفة الغفران**. القاهرة: المطبعة التجارية.

الشعيبي. عبد الله بن عبد العزيز. (1423هـ). **المسيح بن مريم**. مكة: رابطة العالم الإسلامي، إدارة شؤون الدعوة، العدد: 196.

شلبي، أحمد. (1983). **المسيحية**. القاهرة: دار النهضة المصرية-الطبعة السابعة.

شلبي، أحمد. (1989). **أديان الهند الكبرى**. القاهرة: دار النهضة المصرية. الطبعة الخامسة.

الشهاوي، مجدي محمد. (دون تاريخ). **مقدمة إنجيل برنابا**. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ميدان الحسين.

الشهرستاني. (دون تاريخ). **الملل والنحل**. طبعة بيروت .

الطهطاوي. محمد عزت. (1989). **النصرانية والإسلام**. القاهرة: مكتبة النور.

العقاد، عباس محمود. (1969). "**الله**". القاهرة: دار المعارف.

عوض، محمد عبد الرحمن. (1986). **الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة**. القاهرة: دار البشير.

الغزالي، الشيخ محمد. (1987). **دفاع عن العقيدة والشريعة**. بيروت: دار الشروق. الطبعة الأولى

الكتبي، الشيخ أحمد علي المليحى. (1908). **الجواب عن سؤال بعض أهل الكتاب**. طبعة مصرية.

لجنة الكتب الدينية. (1960). **أقدمية وأصالة الأناجيل الأربعة**. (بالأردية) باكستان-بنجاب.

لويمر، جون. (دون تاريخ). **تاريخ الكنيسة**. طبعة القاهرة.

مجموعة من علماء اللاهوت. (1976). **قاموس الكتاب المقدس**. الطبعة الثانية.

مجموعة من علماء اللاهوت. (1988). **معجم اللاهوت الكتابي**. دار الشرق: الطبعة الثانية.

المحمدي، فوزان مصرا. (دون تاريخ). **الجانب الفلسفي من الحضارة الإسلامية**. طبعة القاهرة.

مرجان، محمد مجدي. (دون تاريخ). **المسيح إنسان أم إله؟**. طبعة القاهرة.

المصري، سيد رشيد رضا. (بدون تاريخ). **مقدمة إنجيل برنابا**. طبعة القاهرة.

ميخائيل، وديع. (1984). **براهين ألوهية المسيح**. الطبعة الرابعة.

الندوي، أبو الحسن علي. الحسني. (1965). **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة السادسة.

وجدي، محمد فريد. (دون تاريخ). **دائرة المعارف الإسلامية**. طبعة القاهرة.

الهندي، الشيخ رحمة الله. (دون تاريخ). **إظهار الحق**. تحقيق محمد أحمد ملكاوي. طبعة دار البيضاء.

تكشيف التثليث. (1927). باكستان- لاهور.

Augustine: The City of God II p. 255-259 Book No.14, Chapter No.1.

Agustine: The Enchiridion xxx 1P. 673

B. H. Streeter: **The Four Gospels**.

Hasting, James. (1908-1927). **Art Logos: Encyclopedia of Religion and Ethics**, vol.6.

Original Sin, Aquinas the Summa (Theologica Q.87, Art. 2. v.11

The Summa Theologica Q.81, Art.3. v. 11, Encyclopedia Britannica

Basic Writings of St. Augustine, translated by: A.W. Haddan and edited by j. O Als, New York 1948 p. 672 V. 2.

Basic Writings of St. Thomas Aquinas, edited by: A. C. Pegi p.p. 324, 15v. New York 1915

عن المؤلفين

ألأستاذ الدكتور صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري

وهو محاضر في جامعة دارماونجسا بميدان، سومطرة الشمالية. نال شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد من شعبة الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، بجامعة الأزهر بالقاهرة عام 1987 م. وله العديد من الكتب والمقالات منشورة في اللغات المختلفة من المطابع الدولية في الأدب العربي والإسلامي، والأدب المقارن، والنقد الأدبي. ويمكن التواصل معه من خلال البريد الإلكتروني: shamsuddinsalahuddin@gmail.com

الأستاذ المشارك زمخشري بن حسب الله طيب

وهو رئيس جامعة دارماونجسا بميدان، سومطرة الشمالية. نال شهادة الدكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية، كلية معارف الوحي الإسلامي والتراث، بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، كوالا لمبور عام 2012 م. وله العديد من الكتب والمقالات منشورة في اللغات المختلفة من المطابع الدولية في التفسير والدراسات القرآنية، والدراسات الإسلامية عموما. ويمكن التواصل معه من خلال البريد الإلكتروني: dr.zamakhsyari@dharmawangsa.ac.id

الدكتورتونانج حسن لوبيس

وهو محاضر في الجامعة القرآنية هداية الله بميدان، سومطرة الشمالية. نال شهادة الدكتوراه في الحديث وعلومه من كلية الدراسات العليا، بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الخورطوم السودان، عام 2017 م. وله العديد من المقالات والمنشورات بمختلف اللغات.